

مَاذَا نَعْرِفُ عَنْ بَدِيعِ الزَّمَانِ

سَعِيدُ النُّورِ سَيِّدُ

إِعْدَاد
أ. عَلِي الْقَاضِي

دار الهداية
للطباعة والنشر والتوزيع

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

ماذا تعرف عن بديع الزمان

سعيد النورسي

مدير جامعة يوسف بتركيا

بقلم

علي القاضي

دار الهداية
للطباعة والنشر والتوزيع

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

بين يدي الكتاب

الصراع بين الحق والباطل سنة إلهية ممتدة في التاريخ البشري كله، لكن الباطل وهو مخادع منافق يزعم العقلانية مع أنه دائماً يلجؤ إلى أخطر الوسائل وأبشعها في مقاومة الحق. وهذا الكتاب الذي ألّفه الأستاذ المُرَبِّي (علي القاضي) إطلالة سريعة على بعض صور هذا الصراع وهو يفضح أهل الباطل الذين توافرت لديهم الأدلة على براءة يوسف عليه السلام، لكنهم/مع ذلك/ هددوه بالسجن إذا لم يمارس الرذيلة معهم، هكذا قالت زليخا ﴿وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا ءَامَرُهُ لَيَسْجُنَنَّ وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّاعِرِينَ﴾ (يوسف: ٣٢) ، معتمدة على بطش الحكم وقوة السلطنة، لكن يوسف ردّ معتمداً على الله وقوة الإيمان وإيثار الآخرة على الدنيا ﴿قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ (يوسف: ٣٣) ، فهذا هو منهج الحوار بين أهل الحق وأهل الباطل، ومازال هذا المنهج مسيطر حتى اليوم، ومع ذلك يقول أهل الباطل عن أهل الحق إنهم المتطرفون (والمتعصبون) و(الإرهابيون) .

وبعد صورة يوسف تتوالى الصور عبر التاريخ

لكن عصرنا الحديث وفي بلاد المسلمين بخاصة يزدحم بصور القهر والعنف وأبشع صور التعذيب، لدرجة أن بعضهم يتصور هذه البلاد وكأنها محكومة بالأسلوب الشيوعي الإلحادي حتى اليوم.

وكان أتاتورك في تركيا رمزاً لهذا البطش الإرهابي باسم الحرية والديمقراطية.

والشيخ بديع الزمان النورسي يمثل صورة حية لقوة الإيمان، فقد قام بالدفاع عن الإسلام ضد بطش كمال أتاتورك ومعاونيه، وقد هددوه بكل أنواع التهديد وقدموه للمحاكمة مررات عديدة وحكموا عليه بالإعدام ولكنه لم يهن ولم يحزن، بل إنه صبر وجاهد وتحدى ورفض كل أنواع الترغيب والترهيب.

وفي داخل السجون أخذ يعلم تلاميذه ويقول لهم: إن الوقت الآن هو وقت إنقاذ الإيمان، وفي داخل السجون أخذ يملي رسائل النور على بعض تلاميذه ثم يصحبها بنفسه، ولم يكن هناك وسيلة إلا الكتابة باليد لأن المطابع أغلقت أمام الرسائل.

وقد أسهمت النساء في كتابة رسائل النور ونشرها عن طريق الاستنساخ لمن تعرف الكتابة، ومن لا تعرف الكتابة كانت تقلد الكتابة تقليداً أو تقوم بالأعمال اليومية لأزواج من يكتبن كي تتفرغن لكتابة رسائل النور، وقد بلغ ما كتب منها باليد ستين ألف نسخة.

وفي داخل السجن اهتدى على يديه كثير من المجرمين والقتلة، وفي السجن أيضاً استمر في تأليف رسائل النور.

وبدأت الرسائل تأخذ طريقها في النشر، وكان الشيخ فرحاً بذلك وقال (هذا عيد رسائل النور، لقد كنت أنتظر مثل هذا اليوم، لقد أنهيت مهمتي إذن، وسوف أرحل قريباً) .

وقد أنتجت جامعة يوسف بتركيا مجموعة من الشباب استطاعوا أن يبقوا على الإسلام في تركيا، وأن ينشروه بين الأجيال المقبلة، وأن ينتصروا على العلمانية شيئاً فشيئاً، حتى وجدنا أشياء كثيرة يسمح لها بالوجود كالمساجد ومراكز تحفيظ القرآن والأذان باللغة العربية.

ليت هذا الأسلوب الوحشي ينتهي من عالم البشر، وليت بلادنا الإسلامية تعود إلى دينها. ويا أيها الطغاة تذكروا قدرة الله تعالى، واعلموا أنكم رعاة الأمة وحامها... لا مروعوها وجزاروها، وسوف تُسألون، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره.

د/ عبد الحليم عويس

حياة بديع الزمان الأولى:

وُلِدَ بديع الزمان النورسي رحمه الله تعالى في عهد السلطان عبد الحميد الثاني في أواخر عمر الدولة العثمانية، وقد عاصر تكالب الأعداء وتزاحمهم للقضاء على هذه الدولة، وقد استطاعت الدوائر الأجنبية أن تُحيك المؤامرات بدقة مستخدمة ركائز في قلب الدولة استخدمتهم في اللحظة المناسبة لهُز شجرة الدولة من جذورها والإجهاز عليها، ولم تستطع السلطات التركية منع الانقلاب الذي خططت له القوى الخارجية واستخدمت زمرة من جمعية الاتحاد والترقي لتنفيذه.

وُلِدَ سعيد النورسي في عام ١٢٩٣هـ / ١٨٧٣م بقرية نورس التابعة لولاية (بلتيس) شرق الأناضول.

البيئة التي تربى بها:

كان والده الصوفي (ميرزا) ورعاً يضرب به المثل، لم يذق حراماً قط، ولم يطعم أولاده من غير الحلال، حتى إنه كان إذا عاد بمواشيه من المرعى شد أفواهها حتى لا تأكل من مزارع الآخرين، وتقول أمه (نورية) إنها كانت دائماً ترضع أبناءها وهي على طهر ووضوء.

وقد ظهرت مخايل النبوغ والذكاء على (سعيد الصغير) منذ طفولته، حيث كان دائم السؤال والاستطلاع لكل ما استغلق عليه فهمه، فكان يحضر مجالس الكبار ويصغي إلى ما يدور بينهم من مناقشات في مسائل شتى، ولا سيما علماء قريته الذين كانوا يجتمعون في منزل والده في ليالي الشتاء الطويلة.

ومنذ طفولته وهو لا يريد إلا إرضاء الله تعالى للفوز برضوانه، ويقول (لا أريد العدم بل البقاء) وكان أنوفاً عزيز الجانب لا يقبل الضيم وينفر من الظلم من صغره، وقد تأصلت هذه الأخلاق فيه وقويت عنده عندما بلغ مبلغ الرجال وانعكست على كل تصرفاته مع من قابلهم من مسئولين وحكام وعلماء.

وقد اجتمع عليه مرة بعض العلماء وأجمعوا على امتحانه، فسألوه عما بدا لهم من عويص المسائل فأجاب بإجابات تصل إلى أعماق القلوب فاعترفوا جميعاً بفضلته ومهارته،

إلا أن بعضهم ناصبه العداة ولكنه أبى أن تقع بسببه فتنه فأطفأ نار الشحناء والمشاجرة فذهب إلى (نيليس) وكان عمره آنئذ خمسة عشر عاماً، فصار مثلاً في الشجاعة وظهرت سمات فضله في الأخلاق والعلوم في أنحاء الولاية حتى لقب (بالملا سعيد المشهور) .

خطواته الأولى نحو العلم:

تلقى علومه الأولى في كُتّاب قرية (طاغ) عام ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م وكان يرفض أن يأخذ زكاة أو صدقة، ثم ذهب إلى مدرسة في قضاء (بايزيد) التابعة لولاية (أغرى) وهنا بدأت الدراسة الدينية في حياة سعيد، إذ أنه لم يكن قد درس حتى الآن غير النحو والصرف، وبدأ في قراءة جميع الكتب التي كانت تدرس في المدارس الدينية، وكان يقرأ في اليوم الواحد من متون أصعب الكتب مائتي صفحة ويفهمها دون الرجوع إلى الهوامش والحواشي، وكان يقرأ على ضوء الشموع، ثم أخذ إجازته العلمية.

سعيد المشهور:

ثم انتقل إلى كثير من البلاد في طلب العلم حتى وصل إلى مدرسة العالم المعروف في ذلك الوقت (فتح الله أفندي) الذي امتحنه في الكتب التي قرأها وقال له بعد ذلك (حسننا إن ذكاءك خارق، وإن اجتماع الذكاء الخارق مع القوة الخارقة للحفظ شيء نادر جداً) .

وكتب له على غلاف كتاب جمع الجوامع في أصول الفقه لابن السبكي (لقد حفظ /جمع الجوامع/ جميعه في جمعة) ، ولم يلبث هذا الخارق إلا فترة قصيرة حتى أقبل عليه علماء المدينة يحاورونه حتى أفحمهم فأطلقوا عليه (سعيد المشهور) .

ثم ذهب إلى مدينة (تللو) حيث اعتكف مدة في أحد أماكن العبادة، وحفظ من القاموس المحيط للفيروزبادي حتى باب السين، وفي عام ١٣١٠هـ/١٨٩٢م ذهب الملا سعيد إلى (بادين) حيث بدأ يلقي دروسه في جامع المدينة، وقد أحس والي المدينة بأن هذا الشاب خطر عليه، لذلك قرر نفيه من المدينة، فسبق بصحبة الشرطة ويده مغلولتان إلى مدينة (نيليس) ، وبعد فترة قصيرة من وصوله عرف والي (نيليس) فضل هذا العالم الشاب، فأحبّه وأصر على أن يقيم معه في منزله، وبعد إلحاح كثير وافق على ذلك

واستقر في غرفة خاصة به، وكانت فرصة لمطالعة الملا سعيد لكثير من الكتب العلمية وحفظها، كما طالع كثيراً من كتب علم الكلام والمنطق والنحو والتفسير والحديث والفقه وحفظ أكثر من ثمانية كتب من أمهات كتب العلوم الإسلامية.

وفي عام ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م ذهب إلى (وان) بدعوة من واليها والتقى ببعض أساتذة العلوم الحديثة من جغرافيا وكيمياء وغيرها، وشعر بقصوره في هذه العلوم فأقبل على تعلمها بشغف عظيم حتى أتقنها وأصبح قادراً على التأليف فيها ومناقشة المختصين، وفي مدة قصيرة جداً استطاع أن يتقن الرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء والجيولوجيا والفلسفة والتاريخ وغير ذلك، وذاعت شهرته حتى أطلق عليه (بديع الزمان).

وكان دائماً يكرر ما حفظه وقد بلغ ما حفظه سبعين كتاباً وكانت هذه الكتب واسطة للوصول إلى حقائق القرآن الكريم.

خبر مدهش:

في هذه الفترة قرأ في الصحف المحلية خبراً مدهشاً هز كيانه كله هزاً عنيفاً، وهو أن وزير المستعمرات البريطاني (غلادستون) قال في مجلس العموم البريطاني وهو يخاطب النواب ويده نسخة من القرآن (ما دام هذا القرآن بين أيدي المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم، لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود، أو نقطع صلة المسلمين به). لذلك صمم على أن يكرس كل حياته لإظهار إعجاز القرآن، وربط المسلمين بكتاب الله وقال (لأبرهن للعالم أن هذا القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها).

وقضى حياته كلها يريد أن يثبت من خلال رسائل النور أستاذية القرآن في الكون كله، كي ينتهي إلى أن تلاميذ القرآن الكريم هم أساتذة الدنيا في التمسك بالعقيدة الصحيحة، والشريعة الحكيمة والروحانية العالية، والأخلاق السامية، والسلوك الرباني المستقيم، وذلك لتعود للمسلم ثقته بنفسه واعتزازه بأستاذيته، وبذلك لا يستعبد لمبادئ الكفر وأخلاق الكافرين حتى يعيد دوره الحضاري الكامل في هذه الدنيا فينقذ البشرية بقوة مبادئه الربانية من الإلحاد والانحراف والانحلال.

بذلك قرر إنشاء جامعة إسلامية في شرق الأناضول باسم (مدرسة الزهراء) لخدمة القرآن، ولتحقيق فكرته هذه، ذهب إلى استانبول وبقي سنة ونصف يحاول إقناع المسؤولين بفكرته، ولكنه لم يوفق في مسعاه فرجع إلى (وان) ، وفي عام ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م رجع إلى استانبول وسكن في خان الشكرجي في منطقة فاتح (نسبة إلى القائد المسلم (محمد الفاتح) فاتح القسطنطينية) حيث يسكن الكثيرون من المفكرين والأدباء.

وفي أثناء إقامته في استانبول علق لوحة على باب غرفته كتب فيها:

(هنا يجاب عن كل سؤال وتحل كل مشكلة دون أن يسأل هو أحدا من الناس)

وذهب إليه شاب من المثقفين في مدرسته ووجه إليه أسئلة معقدة في الإلهيات التي لا يمكن الإجابة عليها إلا بمجلدات من الكتب، يقول الشاب (لقد كانت أجوبته عجيبة ومدهشة فأصبحت موقنا بأن علمه ليس كسبياً /كعلمنا/ بل هو علم لدي) .

وقال عالم آخر لطلابه بعد أن التقى به (لم أشاهد مثله أبداً، إنه من نواذر الخلق لم يجي الزمان بمثله قط) .

مطالبته بفتح مدارس للعلوم:

قدّم سعيد النورسي عريضة إلى السلطان عبد الحميد يطلب فيها فتح المدارس التي تُعَلَّم العلوم الرياضية والفيزياء والكيمياء وغيرها بجانب المدارس الدينية في شرق الأناضول حيث يُخَسِّم الجهل والفقر على سكانه، ثم قابل السلطان نفسه وانتقد الاستبداد ونظام الأمن والاستخبارات مما أثار نقمة حاشية السلطان التي لا تمثل فكر السلطان، فأحالوه إلى محاكمة عسكرية ... وفي المحكمة تكلم بجرأة كبيرة، مما حدا برئيس المحكمة إلى إحالته إلى الأطباء لفحص قواه العقلية، وقد أصدرت لجنة الأطباء التي كانت مؤلفة من طبيب تركي وطبيب أرمني وطبيب رومي وطبيين يهوديين قراراً بوضعه في مستشفى (طوب طاش) للمجاذيب.

وفي المحكمة حضر أحد الأطباء لفحص قواه العقلية وبعد محاورة كتب تقريراً جاء فيه:

(لو كان هناك ذرة واحدة من الجنون عند بديع الزمان، فإن معنى ذلك أنه لا يوجد

على وجه الأرض كلها عاقل واحد) .

وعلى إثر ذلك أرسل بديع الزمان إلى وزير الداخلية الذي عرض عليه مرتب ألف قرش مع هدية سلطانية ولكنه رفض قائلاً (إني لم آت لغرض شخصي إنما لمصلحة البلد فما تعرضونه عليّ ليس سوى رشوة للسكوت، إنني أريد أن أوقظ هذه الأمة) .

ثم ذهب إلى (سلانيك) وتعرف على كبار شخصيات جمعية (الاتحاد الترقّي) وعندما شعر من بعضهم بعدم الاستقامة وبعدها لهم للدين قال لهم (لقد اعتديتم على الدين وأدرتم ظهوركم للشريعة) ، فطلب اليهود (عما نوفيل قره صو) رئيس المحفل الماسوني وعضو مجلس النواب العثماني مقابلته طمعا في التأثير عليه وبعد المقابلة قال اليهودي (لقد كاد هذا الرجل العجيب أن يزجني بجديته في الإسلام) .

وفي عام ١٣٠٦هـ / ١٩٠٨م أعلن الدستور وانتخب مجلس نواب تكون الوزارة مسئولة أمامه فصرف جل هم في إلقاء الخطب وكتابة المقالات مبينا مفهوم الحرية في الإسلام ومطالباً بتحكيم الشريعة الإسلامية ومحذراً من التفسير الخطأ للحرية وقال (بني وطني لا تسيئوا تفسير الحرية كي لا تذهب من أيديكم، إن الحرية لا تتحقق ولا تنمو إلا بتطبيق الشريعة الغراء ومراعاة آدابها) .

وقد تحدث عن الفترة التي كان يعيش فيها موضحاً تميزها عن غيرها بقوله: إن عصرنا هذا يتميز بطابعين عجيبين:

الأول: التعامي عن رؤية العاقبة، وترجيح مقدار درهم من اللذة المائلة على قنطار من اللذات الآتية، وما ذلك إلا بسبب طغيان المحسوسات على عقل الإنسان وفكره، والسبيل الوحيد لإنقاذ أهل السفه من الناس من سفهمهم هو إظهار الألم المريح في تلك اللذات عينها والغالبة على حسهم وكما تشير الآية الجليلة ﴿ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ (إبراهيم: ٣) ، فإن المرء في زماننا هذا مع علمه وتأكده من نعم ولذات الآخرة التي تشبه الماس يفضل عليها المتع الدنيوية الشبيهة بالقطع الزجاجية المكسرة، وبذلك ينساق وراء أرباب الضلالة بعد أن كان من أهل الإيمان..

الثاني: الضلال المترتب على الإلحاد والعلوم الطبيعية والتمرد المتولد عن الكفر العنادي في الماضي ليعتبر أن من الضلالة بحيث لا تذكر إذا ما قيسا بما عليه الوضع في وقتنا الراهن، لذلك فقد كانت دراسات مُحققِي الإسلام وأدلتهم كافية لسد احتياجات ذلك العصر، لقد كان كفر عصرهم مَبْنِياً على الشك فكانوا يزيلونه بسرعة وكان من اليسير هداية الكثيرين إلى الصراط السوي وإنقاذهم من السفه والضلال بتعريف الله والتخويف من عذابه .

أما اليوم فقد تغير الحال، كَثُرَ المُلحدون وزاد الضلال بسبب ضلالات العلوم والفنون ووقفوا بعناد وتمرد في وجه حقائق الإيمان وبغرور فرعوني وتضليلات مدهشة . وقد التقى بالشيخ محمد نجيب المطيعي مفتي الديار المصرية في ذلك الوقت وبعد حديث موجز عن معنى الحرية قال الشيخ محمد نجيب (إنني وافقت على كلامه وإنني أحمل هذا الرأي نفسه ولا يمكن المناقشة والمناظرة مع هذا الشاب) .

عزل السلطان عبد الحميد :

لقد أحس الشعب التركي بِبُعد جمعية الاتحاد والترقي عن الدين إلى جانب علاقة أفرادها بالماسونية واليهود ولذلك فقد أشاعوا جواً من الإرهاب واغتالوا بعض الشخصيات الإسلامية وانتشرت الشائعات ونشأ عصيان بين رجال الجيش واجتمعوا في منتصف ١٣ نيسان ١٩٠٩م في ساحة السلطان أحمد حيث انضم إليهم بعض الجنود من المعسكرات الأخرى وكانوا يهتفون (نريد الشريعة .. نريد الشريعة) .

وانتهى الأمر بوصول جيش الحركة الذي وجهه الاتحاديون لقمع السلطان وإعادة سلطة الاتحاديين، وسيطر على الوضع وعزل السلطان وشكَّلت محكمة عسكرية لمحاكمة المسؤولين عن هذه الحادثة.

محاكمة سعيد :

كان دور سعيد دور الناصح للجنود بالعودة إلى ثكناتهم، ولكنه مع ذلك قدم للمحاكمة ليحكم عليه بالإعدام، وقال له الحاكم العسكري خورشيد باشا (وأنت أيضاً

تدعو إلى تطبيق الشريعة ؟ .. إن من يطالب بها يشنق هكذا (مشيراً بيده إلى المشنوقين) ،
فقام سعيد وألقى على سمع المحكمة خطاباً قال فيه ..

(لسو أن لي ألف روح لما ترددت في أن أجعلها فداء لحقيقة واحدة من حقائق
الإسلام، وأنا مستعد للذهاب مع هؤلاء الذين علقوا في المشانق، لقد كانت هذه الحكومة
تخاصم العقل أيام الاستبداد والآن فإنها تعادي الحياة فليمت الجنون وليعيش الموت
وللظالمين فلتعيش جهنم) .

وصدر الحكم براءة سعيد من المحكمة التي شنقت العشرات، وبدأ سعيد يتجول بين
القبائل يعلمهم أمور دينهم ويرشدهم إلى الحق، وفي (وان) ألّف كتاب المناظرات الذي
طبع في استانبول.

بديع الزمان القائد المفتي :

وفي عام ١٣٢٨هـ، ١٩١٢م عُيّن بديع الزمان قائداً للقوات الفدائية التي تشكلت
من المتطوعين المسلمين القادمين من شرق الأناضول.

وقبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى أصبح بديع الزمان عضواً في تشكيلات خاصة
هدفها المحافظة على وحدة أراضي الإمبراطورية، وقد أفتى جماعة من علماء الدين فتوى
الجهاد، وذهب سعيد إلى مدينة (وان) حيث شكل من المتطوعين فرقة للجهاد وقال لهم
(تهيؤوا واستعدوا ؛ إن زلزالاً شديداً أوشك على الأبواب) .

وقد اشتهر هؤلاء المتطوعون بدقة التصويب والجرأة الكبيرة حتى إن عصابات الأرمن
التعاونة مع القوات الروسية كانت تنهيب لقاء هؤلاء المجاهدين .

الحرب العالمية الأولى :

اندفعت الجيوش الروسية نحو الأناضول في عام ١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م ووصلت إلى
مدينة (أرضوم) وكان سعيد يقاتل هو وطلابه الجيش الروسي، وقد شهد له القواد الأتراك
بحسن بلائه وتأثيراته في هذه المعارك، وفي خنادق القتال ألّف (إشارات الإعجاز في نطاق
الإيجاز) باللغة العربية، وفي مدينه نيليس جرح سعيد جرحاً شديداً وأسره الروس وقدم

للمحاكمة بتهمة إهانة القيصر والجيش الروسي، وذلك لأنه لم يقم احتراماً للقائد الروسي وقد ألحوا عليه في الاعتذار حتى ينقذ نفسه من الحكم بالإعدام فقال :

(إنني أرغب في الرحيل إلى الآخرة والمثل بين يدي رسول الله ﷺ، وإنني في حاجة فقط إلى جواز سفر للآخرة، وأنا لا أستطيع أن أعمل ما يخالف إيماني) .

وقد أصدرت المحكمة قرارها بالإعدام، وفي يوم تنفيذ الحكم طلب مهلة صغيرة لصلاة ركعتين، وبعد الصلاة اعتذر القائد وقال له(إنني أهنتك على صلابتك في عقيدتك وأرجو المَعذرة) .

مكث سعيد في الأسر نحو عامين ونصف، واستطاع الهرب إثر حدوث الثورة البلشفية، ووصل إلى ألمانيا ومنها إلى استانبول وقد جثم على صدره يأس ثقيل نحو حياته ونحو وطنه، وجاءه المدد من القرآن الكريم فردد لسانه:

(حسبنا الله ونعم الوكيل) فوجد فيها الراحة والأمل .

في استانبول :

وفي عام ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م عُيِّن عضواً في دار الحكمة الإسلامية في استانبول دون علمه تقديراً له، وكانت الحكومة قد خصصت له مرتباً ولم يأخذ لنفسه إلا ما يقيم به أوده، والباقي طبع به بعض الرسائل التي أمر بتوزيعها مجاناً على المسلمين .

وتستألى الهزائم على الدولة العثمانية وتدخل جيوش الدول الاستعمارية تركيا وتعقد معاهدة (سيفر) ويحس سعيد بذلك ويقول (لقد كنت أحس بأن هذه الضربات التي وجهت إلى العالم الإسلامي وكأنها وجهت إلى أعماق قلبي) .

وقد احتلت القوات الإنجليزية استانبول، وفي عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م ألف بديع الزمان كتابه (الخطوات الست) وأخذ ينشره سرّاً بين الناس بمساعدة طلابه وأصدقائه، يهاجم فيها الإنجليز بلهجة قوية ويلفت أنظار المسلمين إلى أطماعهم، ويحارب اليأس الذي تسلط على كثير من النفوس ويشد العزائم .

الرد على الأسئلة :

وجه الإنجليز عن طريق كنيسة (انكلبكان) ستة أسئلة إلى المشيخة الإسلامية لتجيب عنها بستمائة كلمة فقال (إن هذه الأسئلة لا يجاب عنها إلا بصفحة واحدة على الوجه الصفيق للإنجليزي اللعين) .

وقد اتهارت الدولة العثمانية وظهر عند بعض الأكراد المثقفين فكرة إنشاء دولة كردية، وردّ سعيد / وهو كردي / على من دعاه إلى ذلك بقوله (سأكون معك إن حاولت إحياء الدولة العثمانية وأنا مستعد للتضحية بنفسي في هذا السبيل أما تكوين دولة كردية فلا) .

مع مصطفى كمال :

دعا مصطفى كمال سعيد النورسي للانضمام إلى حركة المقاومة في أنقرة ورفض سعيد لأنه يجاهد في أخطر الأمكنة، ولكن الدعوة تكررت بإلحاح فأرسل بعض طلابه ثم ذهب هو .

ولاحظ أن معظم النواب لا يؤدون الصلاة، كما أن تصرفات مصطفى كمال وسلوكه المعادي للإسلام أحزنه كثيراً، فقرر أن يطبع بياناً في عام ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٣ م يتضمن عشر مواد موجهة إلى النواب يعظّمهم فيه ويذكرهم بالإسلام، وكان من أثر هذا البيان أن استقام ستون نائباً على التدبُّن وأقاموا الصلاة، واستدعاه مصطفى كمال وأتممه بأنه عن طريق بيانه ييث الفرقة بين أهل المجلس، فأجابه سعيد بقوله (إن أعظم حقيقة تنجلي بعد الإيمان هي الصلاة، وإن الذي لا يصلي خائن وحكم الخائن مردود) .

لذا أراد مصطفى كمال إبعاده بمرتب مُغرٍ لكي يكون واعظاً عاماً للولايات الشرقية، ولكن سعيداً رفض ذلك، ثم نشر رسائل وكتباً باللغة التركية والعربية .

ثم رحل إلى (وان) عام ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٣ م بعد أن شعر بالنوايا الخفية السيئة التي كان يُكسّنها للإسلام الكثير من الأعضاء، وكان يكثر من التهجد والدعاء لله أن ينقذ المسلمين مما هم فيه، واعتقل سعيد ونُقل إلى مدينه (بور دور) حيث تفرغ للعبادة وتأليف رسالة (المدخل إلى التور) ، وهي عبارة عن دروس قرآنية استنسخت باليد وتداولها طلابه

ومحبوه، وَمَنْ ثَمَّ نُقِلَ إِلَى (إِسْبَارْطَة) ثُمَّ نُقِلَ إِلَى (بَارَلَا) عَلَى مَتْنِ زُورْقٍ فِي عَامِ ١٣٤٥ هـ/ ١٩٢٦م حَيْثُ مَكِّثَ فِيهَا ثَمَانِي سِنَوَاتٍ وَنِصْفَ، وَأُلْفَ فِيهَا مَعْظَمَ رِسَائِلِ النُّورِ.

كَانَتْ تُرْكِيَا فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ تَعِيشُ دَوْرًا حَالِكًا مِنَ الْإِسْتِبْدَادِ وَالطُّغْيَانِ وَالْعَدَاءِ الصَّرِيحِ الشَّرْسِ لِلدِّينِ وَمَحَاوَلَةِ إِطْفَاءِ نُورِ اللَّهِ وَمَحَارَبَةِ شَرِيعَتِهِ بِاسْمِ التَّمَدُّنِ وَالْحَضَارَةِ، وَاسْتَمَرَّتْ هَذِهِ الْفَتْرَةُ مَدَّةَ رُبْعِ قَرْنٍ مِنَ الزَّمَانِ، حَيْثُ بَدَّؤُوا بِمَنْعِ تَدْرِيسِ الدِّينِ فِي الْمَدَارِسِ، وَبَدَّلُوا حُرُوفَ الْكِتَابَةِ الْعَرَبِيَّةِ إِلَى الْحُرُوفِ اللَّاتِينِيَّةِ، وَأَعْلَنُوا عِلْمَانِيَّةَ الدَّوْلَةِ، وَشَكَّلُوا مَحَاكِمَ زَرَعَتْ الْخَوْفَ وَالْإِرْهَابَ فِي طُولِ الْبِلَادِ وَعَرَضُهَا، حَيْثُ نَصَبَتْ الْمَشَانِقَ لِعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَلِكُلِّ مَنْ تَحَدَّثَ نَفْسَهُ بِالْإِعْتِرَاضِ عَلَى السُّلْطَةِ الْحَاكِمَةِ، وَكَانَتْ (بَارَلَا) مَعْتَقَلًا لِسَعِيدِ النُّورْسِيِّ، وَأَحْسَ فِيهَا بِالْعِزْلَةِ وَالْغُرْبَةِ وَقَدْ اعْتَلَتْ صَحَّتُهُ وَكَانَ قَلِيلَ الْإِقْبَالِ عَلَى الطَّعَامِ .

كَيْفَ يَنْقُذُ الْإِيمَانَ ؟

قَرَّرَ سَعِيدُ النُّورْسِيِّ أَنْ يَعْمَلَ عَلَى إِنْقَازِ الْإِيمَانِ فِي تُرْكِيَا، وَكَانَ يَرَى أَنَّ هَذِهِ مَسْأَلَةٌ أَسَاسِيَّةٌ لَا تَحْتَمِلُ التَّأْجِيلَ وَالتَّسْوِيفَ، وَكَانَ يَقُولُ لِلنَّاسِ :
(إِنْ الْوَقْتُ الْآنَ هُوَ وَقْتُ إِنْقَازِ الْإِيمَانِ) .

وَكَانَ يَمْلِكُ رِسَائِلَ النُّورِ عَلَى بَعْضِ طُلَابِهِ ثُمَّ يَصْحَحُهَا بِنَفْسِهِ، وَكَانَ يَصِرُ عَلَى كِتَابَتِهَا بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الْكِتَابَةُ بِالْيَدِ لِأَنَّ الْمَطَابِعَ الَّتِي تَطْبَعُ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ أَغْلَقَتْ، وَقَدْ أَسْهَمَتِ النِّسَاءُ فِي نَشْرِ رِسَائِلِ النُّورِ عَنْ طَرِيقِ الْإِسْتِنْسَاخِ لِمَنْ تَعْرِفُ الْكِتَابَةَ، وَمَنْ لَا تَعْرِفُ كُنْ يَقْلِدُنَ الْكِتَابَةَ تَقْلِيدًا أَوْ يَقْمَنَ بِالْأَعْمَالِ الْيَوْمِيَّةِ لِيُوَفِّقَنَّ كَيْ يَتَفَرَّغْنَ كَلِيَّةً لِكِتَابِ (رِسَائِلِ النُّورِ) ، وَمِنْ الطَّرِيفِ أَنَّ جُمْلَةً مِمَّا نَسَخَ بِالْيَدِ يَبْلُغُ (سِتِينَ أَلْفَ نَسْخَةٍ) .

وَفِي عَامِ ١٣٥١ هـ/ ١٩٣٢م صَدَرَتْ الْأَوَامِرُ بِمَنْعِ الْأَذَانِ الشَّرْعِيِّ لِلصَّلَاةِ فِي تُرْكِيَا، فَأَصْبَحَ يَرُدَّدُ بِاللُّغَةِ التُّرْكِيَّةِ، وَمَنْ خَالَفَ عَوِقِبَ عِقَابًا شَدِيدًا، ثُمَّ نُقِلَ سَعِيدُ النُّورْسِيِّ فِي عَامِ ١٣٥٣ هـ/ ١٩٣٤م إِلَى (إِسْبَارْطَة) حَيْثُ عَكَفَ عَلَى تَأْلِيفِ رِسَائِلِ النُّورِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ بِأَسْبُوعٍ اعْتَقِلَ وَوُضِعَتْ الْأَغْلَالُ فِي يَدَيْهِ وَفِي أَيْدِي تَلَامِيذِهِ وَكَانَتْ التَّهْمُ الْمَوْجُوهَةُ إِلَيْهِ هِيَ :

- ١ - تأليف جمعية سرية . ٢ - العمل على هدم الثورة الكمالية .
٣ - تشكيل طريقة صوفية . ٤ - إثارة روح التدين بنشر رسالة (التستر للنساء)
وكان جزاء هذه التهم الإعدام.

وقد وضع في سجن انفرادي وضيقوا عليه الخناق بأساليب كثيرة بهدف التأثير في روحه المعنوية ولكنه استمر في تأليف رسائل النور، كما أن كثيرين من المجرمين في هذا السجن تابوا على يديه إلى الله تعالى وبدؤوا في اتباع الطريق المستقيم، ولم تثبت عليه أية تهمة ولكنه سجن أحد عشر شهراً بسبب رسالة عن (تستر النساء) .

ثم نقل إلى (قسطنطيني) حيث أقام فيها سبع سنين، استمر خلالها في كتابة (رسائل النور) ، واستمر في مراسلة طلابه بشئ الرسائل متخطياً العيون المتربصة عن طريق استنساخ الرسائل، وهناك طلاب استنسخوا وحدهم أكثر من ألف رسالة .

تحول عن الإسلام :

وقد بدؤوا صفحة جديدة في حرب الإسلام - وقد حاولوا أن يخلعوا ثياب سعيد التي حرّمها كمال أتاتورك ولكنه أبى ذلك إباء شديداً - وقد حذفوا كلمات الخالق والرب والله جل جلاله من الكتب المدرسية ووضعوا مكانها " الطبيعة والتطور والوطنية والقومية " وأصبح من علامات الثقافة والعلم إنكار وجود الله تعالى .

ولم تنفع كل التدابير الحكومية في إيقاف تقدم الحركة ولذلك فإنها لجأت إلى أساليب أخرى، فدرسوا السم له وداهوا منزله عدة مرات ولم يعثروا إلا على بعض الرسائل التي تبحث مسائل الإيمان بالله واليوم الآخر والأخلاق، ومع ذلك فقد اعتقلوه مع مائة وعشرين من طلاب النور، وكانت التهمة التي وجهت إليه نفس التهم السابقة، وهي تأليف جمعية سرية، وتحريض الشعب على الحكومة العلمانية، ومحاولة قلب نظام الحكم، وتسمية مصطفى كمال بالدجال وهادم الدين، ثم نقل إلى أنقرة بإحدى سيارات النقل، واستمر في السيارة يدعو إلى الله تعالى، ولما وصل إلى أنقرة حاول الوالي أن ينزع عنه زيه قسراً، فقال له (إن هذه العمامة لا ترفع إلا مع هذا الرأس) مشيراً إلى عنقه .

ومن الطريف أن هذا الحاكم قد انتحر في عام ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م بإطلاق الرصاص على رأسه.

ثم نقل سعيد إلى سجن (ديزلي) ، وقامت الحكومة بتأليف لجنة تدقيق رسائل النور لثبين ما إذا كانت تحتوى على موضوعات سياسية أو غير ذلك من الأشياء المخالفة للدستور، وجاء في قرار اللجنة (ليس لبديع الزمان فعالية سياسية، كما أنه لا يوجد أي دليل على أنه قد أسس طريقة صوفية أو أنه قام بإنشاء أية جمعية، وإن موضوعات كتبه تدور كلها حول المسائل العلمية والإيمانية وهي تفسير للقرآن الكريم) .

وقد برأته المحكمة من التهم المنسوبة إليه، ولكنهم استمروا في اعتقاله ثم نفي إلى قضاء (أميرداغ) حيث استمروا في اعتقاله أيضاً، وإذا أفرجوا عنه استمروا في مراقبته والترصد له ومداومة بيته وبيوت تلاميذه، وبذلك أشاعوا جواً من الإرهاب في عدد من المدن التي بها تلاميذه، وقد حكم عليه بالسجن وعلى تلاميذه لمدد مختلفة، وقد تركوه وحده في زنزانة كبيرة عارية تسع ستين غير مدفئة، بينما الثلوج تتراكم على زجاج نافذته، وقد دسّوا له السم في طعامه، ولكن الله تعالى حفظه وعندما حاول بعض طلابه إسعافه ضربوهم ضرباً مبرحاً، وفي هذا السجن اهتدى على يديه كثير من المجرمين والقتلة، كما استمر في التأليف فألّف (الشعاع الخامس عشر) وقد تناول هذا الموضوع بالأدلة القاطعة على وجود الله تعالى ووحدانيته وعلى صدق نبوة محمد ﷺ .

سعيد الجديد :

تبدأ هذه المرحلة من بداية حياته في منفاه في بارلا عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٢٦م، وتستمر حتى خروجه من سجن (أفيون) ، في عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩ .

وقد طلق سعيد الجديد الحياة السياسية تحت شعاره المعروف (أعوذ بالله من الشيطان والسياسة) وأخذ على عاتقه مسألة (إنقاذ الإيمان) في تركيا، وبذلك فوت الفرصة على أعداء الإسلام للوقوف أمام نشاطه، وقد قدّم للمحاكمة ست مرات ومع ذلك فلم يجدوا دليلاً قانونياً ضده .

ولم يتوان سعيد النورسي عن خدمة القرآن الكريم، فلم يراجع كتاباً غير القرآن الكريم، وكان يستلهم من الآية الكريمة معانيها ويعيش معها حالات قلبية وروحية خالصة في أجوائها، ثم يملئ على من حوله من الطلبة ما يفتح الله به عليه وما يرد على قلبه من المعاني الجليلة للآية الكريمة، ولم يكن لتلك الفتوحات الربانية من وقت معين ولا مكان معين إذ فتح الله على قلبه (رسالة الحشر) وهو يغدو ويروح ذهاباً وإياباً على ضفاف بحيرة بارلا وهو يردد الآية الكريمة :

﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُخَيِّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الروم: ٥٠).

أما رسالة المعجزات الأحمديّة فقد أملاها على بعض طلبته خلال أربعة أيام وبمعدل ساعتين في اليوم في شعاب الجبال والبساتين، فكانت حصيلة ذلك ثلاثمائة ونيف من معجزات الرسول الأعظم ﷺ مع ذكر ما فيها من نقول وروايات، وقد فتح الله عليه في سجن (دينزلي) في يومين من أيام الجمع كثيراً من الرسائل، وهكذا تم تأليف أكثر من مائة وثلاثين رسالة من رسائل النور في ثلاث وعشرين سنة بفضل الله الكريم وبفضل قرآنه العظيم .

سعيد الثالث :

تبدأ هذه المرحلة التي أطلق فيها سعيد على نفسه (سعيد الثالث) منذ خروجه من سجن مدينة (أفيون) عام ١٣٦٩هـ/١٩٤٩م وحتى وفاته عام ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م . وتتميز الأوضاع في تركيا في هذه المرحلة بعودة الأحزاب السياسية إلى النشاط بعد أن كان هناك حكم الحزب الواحد، وفي هذه المرحلة اتخذ بديع الزمان لنفسه أسلوباً جديداً في التدريس، فكان يقوم بالتدريس على منهجه الخاص بتثبيت الحقائق الدينية، أي إثباتها بالبراهين العقلية والحجج القطعية وتقريبها إلى الأذهان بضرب الأمثال وجعلها نصب العيون، وكثيراً ما كان يستدل بالآيات الكونية والصناعات والمخترعات الحديثة وكان ينور أذهان طلبته ويفتح عيونهم إلى محاسن الدين الإسلامي، ويضع الأصابع على أسرار حكم التشريع بمزجه العلوم الحديثة الثابتة مع الحقائق الدينية .

وقد أخذت الأفكار التي استقاها بديع الزمان من القرآن الكريم والتي كتبها بطريقة فريدة في ظروف مختلفة ومواطن شتى تنتشر بسرعة وتتسع لتصل إلى آفاق بعيدة وبلدان كثيرة من العالم فانتشر في الولايات المتحدة رسائل النور هناك، وقامت جماعة النور في ألمانيا الغربية بنشر رسائل النور باللغة الأجنبية في أوروبا وأمريكا، فترجمت رسائل النور إلى كثير من اللغات ومنها العربية والألمانية والإنجليزية والفرنسية والإيطالية والأردية والكردية.

في هذه المرحلة بدأ سعيد بالتدريس الجماعي لرسائل النور، إضافة إلى نشاطه السابق، ونظراً لتقدمه في السن وحاجته إلى الرعاية أصبح تلاميذه يبيتون معه في البيت. وابتداءً من عام ١٣٦٩هـ/١٩٤٩م راجت رسائل النور رواجاً كبيراً، إذ سمح لها بالطبع على الرونيو فأصبحت آلاف النسخ تنشر في المدن وفي القرى وتكسب آلاف الأنصار وتشعل جذوة الإيمان في القلوب.

لقد استبشر المسلمون بمجيء الحزب الديمقراطي إلى الحكم، لأنه أراح الناس من حكم أشرس عدو للإسلام ولأنه أعطى بعض الحرية للنشاط الإسلامي، وأرجع الأذان باللغة العربية.

وذهب بديع الزمان إلى مدينه إسبرطة، حيث مكث فيها سبعين يوماً، وطبع تلاميذه رسالة (مرشد الشباب) بالحروف الجديدة فأقيمت دعوى ضده لمخالفته للمادة ١٦٣ في الدستور التركي وهي المادة التي تحظر أي نشاط يستهدف إقامة الدولة على أسس دينية وعاد إلى استانبول بعد بُعْده عنها ٢٧ عاماً، والتقى بتلاميذه وأصدقائه، وقُدِّم إلى المحاكمة في عام ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م بتهمة أنه يحاول رسم طريق معين للشباب بوساطة هذه الأفكار، وأنه يدعو النساء إلى الاحتشام وعدم السير والتجول بملابس تكشف عن أجسامهن لأن ذلك يصادم الفطرة ويخالف الإسلام والآداب القرآنية وذلك مخالف للقانون التركي، وقال في حديثه للمحكمة (إن قيام الشباب بطبع رسالة الشباب يجب أن يكون مبعوث السرور والارتياح، لأن هذه الرسالة تحاول إنقاذ الشباب والشابات من

التيارات العديدة التي تعمل على هدم بنية المجتمع ونخر جسمه وأصدرت المحكمة قرارها بالبراءة .

وبعد ذلك ذهب إلى (أميرداغ) وله في هذه المدينة ذكريات وتلاميذ وأصدقاء، ولكن رجال الشرطة السريين كانوا يتبعونه ثم اعتقلوه.

وفي هذه الفترة حاول شاب مسلم أن يغتال صحفياً من طائفة (الدونمة) وهي طائفة يهودية تظاهرت بالإسلام لتقوم بدور تخريبي كبير في تركيا، فقامت لذلك حملة صحفية رهيبة ضد الإسلاميين وصدرت الأوامر بغلق جميع الصحف والمجلات الإسلامية واعتقال جميع الكتاب المفكرين المسلمين العاملين فيها، وقُدِّم عدد منهم إلى المحكمة ومنهم الشيخ بديع الزمان الذي كان مريضاً وعمرة ثمانون عاماً وصدر الحكم ببراءته .

وفي استنبول :

التقى ببطريك الروم في عام ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م عام الاحتفال بمرور خمسمائة عام على فتحها وقال البطريك: إنه يعترف بنبو محمد وبأن القرآن الكريم كتاب الله، وأنه مستعد لأن يعترف بذلك أمام الرؤساء الروحانيين ولكنهم لن يقبلوا ذلك .

ثم ذهب إلى (أميرداغ) ثم إلى (اسكى) شهر ثم إلى (إسبارطة) ثم إلى (بارلا) وفي كل بلد كان الصغار والكبار يخرجون لاستقباله وهم يرددون.. أين الشيخ ؟ ..أين الشيخ ؟.. وأخيراً ذهب إلى مدرسته الأولى وإلى شجرته الحبيبة التي تعتبر قطعة من حياته حيث كان تحت أغصانها يتعهد بذكر الله تعالى مستعيداً بذلك ذكرياته الحبيبة إلى قلبه .

محكمة أفيون :

شكلت محكمة أفيون لجنة لتدقيق رسائل النور وإبداء الرأي فيها، وبعد ثماني سنوات وفي عام ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م أصدرت قرارها بأن هذه الرسائل تخلو من أي عنصر مخالف للقانون، ولذلك بدأت المطابع في طبع هذه الرسائل ونشرها وكان الشيخ بديع الزمان فرحاً بذلك وقال (هذا هو عيد رسائل النور كنت أنتظر مثل هذا اليوم، لقد أنهيت مهمتي إذن، وسأرحل قريباً).

أواخر أيامه :

في عام ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م أجريت الانتخابات العامة في تركيا وأعطى الشيخ صوته للحزب الديمقراطي الذي كان يعطي جواً من الحرية، وانحسرت في أيامه موجة العداء الوحشي للإسلام، ولذلك أصبح الشيخ قليل اللقاء بالناس وكان يقول (إن قراءة رسائل النور أفضل مائة مرة من الحديث معي) .

وبعد عامين اعتقل جميع من كانوا في خدمته من طلاب النور الذين كانوا ينشرون رسائل النور، وطلبوا من محاميهم أن يسعى للدفاع عن الدعوى وشرحها دون الاهتمام بقضية إطلاق سراحهم وهم راضون البقاء في السجن، وبدأ سعيد الثالث يسافر إلى جميع المدن التي كان يقيم فيها وكأنه كان يريد أن يودع طلابه ومحبيه، وقد أثارت هذه الزيارات المتلاحقة رعب الأوساط المعادية للإسلام فشنت حملة عنيفة على الشيخ بديع الزمان لإثارة الرأي العام ضده، مختلقين سلسلة من الأكاذيب والافتراءات وكأن هناك فتنة دامية ستحل بالبلد، وامراته الحكومة بالبقاء في أميرداغ وذلك في سنة ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م.

وبعد فترة قصيرة استدعى طلابه وودعهم واحداً واحداً، قائلاً لهم وعيناه تفيض بالدمع (أستودعكم الله إني راحل) ، ثم طلب من تلاميذه أن يسافر إلى (أورفة) ، على الرغم من مرضه وكبر سنه أصر على ذلك، وبعد وصوله أصر رجال الشرطة على عودته إلى (إسبارطة) ، ولكنه لم يتمكن من ذلك لأن درجة حرارته ارتفعت، ولقي ربه في يوم الأربعاء (الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ١٣٧٩هـ / ٢٣ من مارس ١٩٦٠م) ووري في التراب في مقبرة (أولو جامع).

وبعد أربعة أيام من وفاته وقع انقلاب عسكري أطاح بالحزب الديمقراطي، وسبق أعضاء الحكومة إلى المحكمة التي نفذت حكم الإعدام على رئيس الوزراء واثنين من وزرائه، وبالسجن بمدد مختلفة لعدد من الوزراء والمسؤولين السابقين، وانتقاماً من الشيخ بديع الزمان قاموا بنقل رفاته إلى جهة غير معلومة بحجة أن زوارا عديدين يأتون لزيارته.

الإيمان وتكامل الإنسان

يقول الشيخ بديع الزمان: إن الإنسان هو سيد المخلوقات على الرغم من أنه صغير جداً، وذلك لما يملك من فطرة شاملة، فهو قائد الموجودات والداعي إلى سلطان ألوهية الله تعالى، والممثل للعبودية الكلية الشاملة ومُظهرها، لذا فإن له أهمية عظمى .

والكفر جريمة كبرى لأنه يهبط بقيمة الكائنات إلى الهاوية، والخيانة التي لا حدود لها توجد عذاباً لا حدود له .

والإيمان بالله تعالى نور يضيء جنبات الكائنات، وهو قوة عظمى تسمو به إلى أعلى عِلِّيِّين، وهو نعمة كبرى توصله وتربطه بخالقه .

والكفر ظلام يسقط الإنسان من مرتبة الإنسانية إلى أدنى مراتب الحيوانية، فتلقي به إلى أسفل سافلين، يقول الله تعالى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ . ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (سورة التين: ٤-٦) والإنسان يسمو بنور الإيمان إلى أعلى عِلِّيِّين، فيكتسب بذلك قيمة تجعله لائقاً بالجنة، بينما ينزل به الكفر إلى أسفل سافلين فيكون في وضع يؤهله لنار جهنم، ذلك لأن الإيمان يربط الإنسان بخالقه الجليل، يربطه بوثاق شديد وينسبه إليه، أما الكفر فيقطع تيارات الصلة وتغشى ظلمته الصنعة الربانية فتنتهي قيمة الإنسان حيث تنحصر في مادته .

والإنسان هو الصنعة الرائعة للخالق الصانع سبحانه وتعالى، فإذا استقر نور الإيمان في هذا الإنسان فإنه يتحول إلى مرتبة أسمى المخلوقات قاطبة، وبذلك يصبح أهلاً للخطاب الإلهي وينال شرفاً يؤهله للضيافة الربانية في الجنة، أما الكفر فإنه يهدم الماهية الإنسانية ويحيلها من جوهرة نفيسة إلى فحمة خسيصة، وإلى جانب ذلك فإن الإيمان نور يغمر الإنسان بنوره ويظهر بارزاً في جميع المكونات، فإذا وجد الإيمان الكامل في قلب الإنسان وانكسرت فرعونية النفس وأصغى إلى كتاب الله تعالى فإنه يمتلئ بالنور الإلهي ويرى الموت مقدمة لحياة أبدية ويرى القبر باب سعادة خالدة .

والإنسان الذي يظفر بالإيمان الحقيقي يستطيع أن يتحدى الكائنات مستنداً إلى قوة إيمانه فيبحر في سفينة الحياة في خضم أمواج الأحداث العاتية لكمال الأمان والسلام قائلاً (توكلت على الله) ، ويسلم أعباءه الثقيلة إلى يد القدير المطلق، وبذلك يقطع سبل الدنيا مطمئن البال في سهولة ويسر حتى يصل إلى البرزخ ويستريح، ثم يرتفع إلى الجنة للدخول في السعادة الأبدية، أما إذا ترك التوكل فإن هذه الأثقال ستجذبه إلى أسفل سافلين .

فالإيمان يقتضي التوحيد، والتوحيد يقود إلى التسليم، والتسليم يحقق التوكل، والتوكل يسهل الطريق إلى سعادة الدارين.

معنى التوكل:

التوكل عبارة عن العلم بأن الأسباب هي حجب بيد القدرة الإلهية ينبغي رعايتها ومدارقتها، وطلب المسببات وترقب النتائج لا يكون إلا من الحق سبحانه وتعالى وإن المنه والثناء لا ترجع إلا إليه وحده .

ثم إن الإيمان يجعل الإنسان إنساناً وسلطاناً، لذلك كانت وظيفته الأساسية الإيمان بالله تعالى والدعاء إليه، بينما الكفر يجعل الإنسان حيواناً مفترساً في غاية العجز، ووظيفة الإنسان الفطرية التكمّل بالعلم والترقي عن طريق كسب العلم والمعرفة والعبودية بالدعاء. والإيمان يقتضي الدعاء ويتخذ وساطة بين المؤمن وربه، كما أن الفطرة الإنسانية تتلهف بشدة وشوق فإن الله تعالى يدعو الإنسان إلى الأمر نفسه، يقول الله تعالى ﴿ قُلْ مَا يَغْبِئُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ (الفرقان: ٧٧) .

وكل دعاء مستجاب إلا أن قبوله وتنفيذ المطلوب نفسه منوط بحكمة الله تعالى، ثم إن الدعاء ضرب من العبودية وثمار العبودية وفوائدها أخروية، أما المقاصد الدنيوية فهي أوقات ذلك النوع من الدعاء والعبادة وليست غاياتها .

والعبودية لا بد وأن تكون خالصة لوجه الله تعالى، بأن يأوي الإنسان إلى ربه بالدعاء مظهراً عجزه مع عدم التدخل في إجراء ربوبيته أو الاعتراض عليها، وتسليم الأمر كله إليه وحده، مع الاعتماد والاطمئنان إلى حكمته دون اتهام لرحمته ودون القنوط منها.

والدعاء نوعان :

دعاء فعلى ودعاء قلبي، والإنسان لكونه مخلوقاً في أحسن تقويم وموهوباً بأتم استعداد جامع فإنه يتمكن من دخول ميدان الامتحان الذي ابتلي به ضمن مقامات ومراتب ودرجات ودركات مصفوفة ابتداء من سجن إلى رياض أعلى عليين.

وفي الإنسان جهتان:

جهة الخير والإيجابية والعقل، وجهة التخريب والشر والسلبية، والنفس الأمارة بإمكانها اقتراف جنایات لا نهاية لها من جهة الشر والتخريب، أما في الخير فإن طاقتها محدودة وجزئية، وفي الإنسان جهة الأنانية المقصورة على الحياة الدنيا.

وجهة العبودية الممتدة إلى الحياة الأبدية والسمو والترقي الحقيقي إنما يكون بتوجيه القلب والروح والعقل إلى الحياة الأبدية الباقية، وإشغال كل منها بما يخصها ويناسبها من وظائف العبودية، وإخضاع اللطائف السامية لأوامر النفس والهوى وطمس وظائفها الأصلية يعتبر سقوطاً وانحطاطاً لا ترضاه لا ترقياً ولا صعوداً.

ثم إن الإنسان من جهة العمل وعلى أساس السعي المادي ما هو إلا حيوان ضعيف ومخلوق عاجز، فإذا استند إلى أنانيته وغروره واتخذ الحياة الدنيا غاية آماله فإنه سوف يفرق في دائرة ضيقة ويذهب سعيه أدراج الرياح، أما إذا أدرك أنه ضعيف عاجز وتحرك ضمن دائرة مرضاة الله الكريم فإنه يعيش آمناً مطمئناً وبإمكانه الصعود والترقي إلى أعلى عليين.

والإنسان في هذا الكون أشبه ما يكون بالطفل الضعيف المحبوب، يحمل في ضعفه قسوة كبيرة، وفي عجزه قدرة عظيمة، فبقوة هذا الضعف سُخرت له كل الموجودات وانقادت، فإذا ما أدرك الإنسان ضعفه ودعا ربه وأدى الشكر والثناء على ذلك التسخير فإن الله تعالى سيوفقه إلى مطلوبه، وتحقق مآربه، وتأتي إليه طائفة متعاونة، أما إذا ألقى السمع إلى النفس الأمارة والشيطان فإنه سيسقط إلى أسفل سافلين، لأن الإنسان أرسل إلى الدنيا ضعيفاً وموظفاً ووهبت له مواهب واستعدادات مهمة جداً، وأسندت إليه وظائف جليلة، وقد رهب ورغب لإنجاز عمله.

نعم إن الإنسان له عبودية وتَفَكُّر بصورة غيابة وعبودية ومناجاة بصورة مخاطبة حاضرة.

أما الأولي فتصديق بالطاعة لسلطان الربوبية، واستنباط العبرة من الدروس، والتفكير في إعجاب في مخلوقات الله تعالى، وأما الثانية فإنه يرى أن الجليل قد جعل الأرض معرضاً لعرض جميع الصنائع، فيقابل ذلك بالاستحسان، فيقول: سبحان الله والله أكبر وبارك الله، وينصب راية التوحيد في آفاق العالم معلنا ربوبية الخالق فيقابلته هو بالتصديق والإيمان والتوحيد والإذعان والشهادة بالعبودية .

أمراض الإنسان وعلاجها

يقول الشيخ بدیع الزمان: هناك ستة أمراض قاتلة جعلتنا نقف على أبواب القرون الوسطى ونتيه في مسالكها المظلمة، في الوقت الذي طار فيه الأجنب وبخاصة الأوروبيون/ بخطى واسعة/ نحو المستقبل وهم يتسابقون في ميدان الرقي والتقدم العلمي، وهذه الأمراض هي:

١- اليأس والقنوط الذي مازال يجد أسباب الحياة في نفوسنا.

٢- موت الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية.

٣- حب العداوة. ٤- تجاهل الرابطة الروحية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض.

٥- ذبوع الاستبداد وذبوع الأمراض المعدية المختلفة.

٦- حصر الهمة في المنفعة الشخصية دون الالتفات إلى النفع العام.

والعلاج يؤخذ من صيدلية القرآن الكريم على النحو الآتي:

الثقة في الرحمة الإلهية والاعتماد عليها إلى أقصى حد، لأن الإسلام يحمل في طياته استعدادا تاما للرفي والتقدم معنى ومادة، والتاريخ يشهد على أن السر في قوة المسلمين ورقبيتهم وتقدمهم يكمن في تمسكهم بدينهم، ولو أننا طبقنا الإسلام وأظهرنا كمالات أخلاقه وحقائقه الإيمانية في سلوكنا وأفعالنا لدخل أتباع الأديان الأخرى في الإسلام

جماعاتٍ وأفراداً، بل ولربما اعتنق الإسلام بعض قارات ودول العالم بأسره، وما لم يوجد في القلب صدق جوهر الدين الحق وروحه فسوف تقوم قيامة مادية ومعنوية على رأس البشرية.

ترى لماذا لم تستول حقائق الإسلام الساطعة على الزمن الماضي ؟ والإجابة تكمن في جهل الأجانب وتوحشهم وبعدهم عن التمدن الحقيقي وتعصبهم لدينهم آنذاك، وقد بدأت هذه الأسباب تزول بفضل التقدم العلمي ومحاسن التمدن ورئاسة القيسيين والزعماء الروحانيين وتحكمهم في أفكار الناس، وتقليد الأجانب لهؤلاء القيسيين والزعماء الروحانيين تقليداً أعمى، وقد أخذ هذان المانعان أيضاً في الزوال بعد انتشار الحرية الفكرية وميل النوع البشري إلى تحري الحقائق.

وقد تفشت فينا روح الاستبداد وانتشرت الأخلاق الذميمة المترتبة على مخالفة الشريعة الغراء بيننا وهذان المانعان قد لا يكون من السهل إزالتها، ولكن رفع الاستبداد الفردي مرهون برفع الاستبداد الجماعي، كما أن فوران الحمية الإسلامية والوقوف على النتائج المخزية للأخلاق الذميمة كفيلاً برفع هذا المانع أيضاً، وقد توهم بعض الناس وجود نوع من التناقض بين حقائق الإسلام وبين ما توصلنا إليه من العلوم الحديثة من نتائج، وقد بدأت روح تحري الحقائق والإنصاف والمحبة الإنسانية تعمل على محاربة طوائف الأعداء، والفضل ما شهدت به الأعداء، ومن ذلك قول بسمارك الذي يعتبر من أشهر رجال الفكر في تاريخ أوروبا:

(لقد درست الكتب السماوية بدقة وشمول ، ونظراً لتحريفها فإنني لم أجد فيها الحكمة الحقيقية التي تكفل سعادة البشرية ، بيد أنني وجدت قرآن محمد يعلو سائر الكتب) .

وهناك خمس قوى اجتمعت وامتزجت في قلب الشخصية المعنوية للعالم الإسلامي، وهذه القوى قوية بحيث لا يمكن أن تغلب أو تقهر:

القوة الأولى: الحقيقة الإسلامية التي تجعل المسلمين جميعاً كنفس واحدة وهي مجهزة بالتمدن الحقيقي والعلوم والفنون الصحيحة .

القوة الثانية: الحاجة الملحة للتمدن والصناعات والفقر الذي كسر ظهورنا.
القوة الثالثة: الحرية الشرعية المعلمة للبشرية طريق التسابق نحو المعالي الممزقة للاستبدادات والمظالم.

القوة الرابعة: الشهامة الإيمانية المقترنة بالشفقة، وذلك يستلزم عدم المداهنة أمام المستبدين وعدم التحكم في المساكين أو التكبر عليهم.

القوة الخامسة: عزة الإسلام بإعلاء كلمة الله تعالى، وذلك يستلزم التقدم المادي والتمدن الحقيقي سوف يحقق الشخصية المعنوية للعالم الإسلامي.

وحضارة أوروبا لم تنأسس على الفضيلة والهدى، ولذلك تغلبت سيئات هذه الحضارة على حسناتها.

وقد ثبت بالبحث والاستقراء وتجارب العلوم المتكررة أن الخير والجمال والكمال هو الغالب المطلق في نظام الكائنات، وأن الشر والقبح والباطل في حلقة الكائنات جزئي وتبعي، وأن أكرم المخلوقات وأشرفها هو الإنسان الذي يستطيع أن يكشف بعقله عن الأسباب الظاهرية في الكائنات، ويفرق ما بين الأسباب والنتائج من مراق، وأن أشرف وأفضل أهل الحق الذين أكرمهم الله تعالى هم المسلمون وأن محمداً هو أشرف الخلائق.

اليأس:

اليأس داء قاتل وقد وجد أسباب الحياة في قلب العالم الإسلامي، وإني لعظيم الأمل في رحمة الله تعالى وفي أن العرب سيتخللون عن اليأس، ويمدون العون والتأزر والوفاق الحقيقي إلى جيش الإسلام الباسل .

والصدق:

من أسس الإسلام وواسطة العقد في سجاياه الحقيقية الدقيقة، فعلينا أن نُحيي الصدق الذي هو حجر الزاوية في حياتنا الاجتماعية ونداوي به أمراضنا الروحية.

والرياء:

نوع من الكذب العقلي، والمداهنة كذب مرذول، والمحبة أجدر الأمور بالمحبة.

وقد أثبتت الحربان العالميتان ما في روح العداوة من ظلم وتخريب وفساد، وأن غرور الإنسان وأنانيته يقودانه أحياناً إلى اتخاذ موقف المعاداة تجاه إخوانه المؤمنين بدون شعور فيظن الإنسان نفسه محقاً.

الشورى:

والدرس الذي تعلمته من الشورى الشرعية هو أن سيئة الرجل الواحد منا في هذا الزمان لا تبقى سيئة واحدة وإنما تتكرر وتتضاعف أحياناً حتى تصبح أحياناً مائة، كما أن الحسنة تكبر وتتضاعف حتى تبلغ الآلاف أحياناً.

إن الحرية الشرعية والشورى المشروعة قد أثبتت سيادة أمتنا.

إن مفتاح سعادة المجتمع الإسلامي يكمن في الشورى، وقد أمرنا القرآن الكريم باتخاذ الشورى في جميع أمورنا، يقول الله تعالى ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى: ٣٨).

وإن الحرية الشرعية النابعة عن الإيمان تأمر بأساسين:

١- أن لا يذل المسلم ولا يتذلل فمن كان عبداً لله فإنه لا يكون عبداً للعباد.

٢- أن لا يجعل بعض الناس أرباباً من دون الله.

رسائل النور

يعتبر بديع الزمان النورسي من أعمق المصلحين المحددين إيماناً، وأغزرهم علماً، وأصلبهم جهاداً، وأدقهم فهماً لطبيعة المرحلة.

لقد انبثق في سماء تركيا انبثاق البدر في حلقات الظلام وقام بدور تجديدي عظيم في بعث الهمم وإنقاذ الإيمان ومقاومة الفكر الغريب الذي يغزو أفكار المسلمين، وذلك بعرض حقائق الإسلام والوقوف كالطود الشامخ أمام الكفر ومؤامراته والفرقة وشعاعاتها، داعياً إلى الأخوة والمحبة وبناء الذات، والخلاص من الأنانية، ونبذ العبودية للأصنام الجديدة التي جاءت بها الأفكار المادية في الحضارة الغربية الحديثة، فاستنارت بفكره العقول، وصفت بدعوته القلوب، واطمأنت بروحانيته النفوس.

وقد سخر حياته في بناء الشخصية المسلمة وإنقاذ المجتمع المهدد من انهيار حضاري وإيماني وأخلاقي من خلال أكثر من مائة وثلاثين رسالة انبثقت من هدي القرآن الكريم والسنة النبوية، شرح فيها أصول العقيدة الإسلامية بأدلتها العقلية والعلمية، وقدم من خلالها مذهبية الإسلام الشاملة في الكون والحياة والمجتمع والإنسان بدقائقها وبمقدماتها ونتائجها، معالجا المشكلات الخطيرة التي أثرت في عصره أمام الإسلام، تلك التي نسجت خيوطها العنكبوتية الواهية دوائر الاستشراق ومراكز التبشير والمؤسسات الثقافية الملحقة بوزارات المستعمرات في الدول الاستعمارية، مبنياً إعجاز القرآن الكريم، وصدق النبوة، وحكمة التشريع، وإنسانية الإسلام، وعظمة مبادئه الروحية والأخلاقية.

وقد قدم الرسائل بفهمه الخاص لما كان يجد فيه من لذة أسرار الأدلة، وحلول المشكلات التي تدخل الهدوء والاتزان إلى عقله المضطرب، وبفهمه العام لما كان يجد فيه من عرض الحقائق الكونية العويصة بأسلوب المنطق الفطري الذي كان يفهمه هو ولا يفهمه غيره.

وقد استطاعت هذه الرسائل أن تبني في تركيا كلها مدرسة إسلامية روحية وثقافية مستقيمة المسالك أتت أكلها بإذن ربها في كل مكان.

وسر نجاح النورسي في إحياء معاني الإيمان في كيان مئات الألوف من الخاصة والعامّة من أبناء جيله والأجيال التالية له يكمن في إيمانه العميق وحماسه المنقطع النظير وأسلوبه الرباني القرآني الذي ابتعد عن علم الكلام التقليدي وتوجهه إلى مخاطبة العقل الفطري والقلب السليم ممتزجين في الجبلّة الإنسانية.

لقد حملت رسائل النور معاول التوحيد الحق، وأهوت بها على مراكز الثقافة الفكرية والاجتماعية التي تفرعت من المدارس المادية التي سارت في القرون الأخيرة فأنقذت المجتمع التركي المسلم من كارثة حضارية محققة لأن الأمر وصل إلى تدريس تلك المبادئ المادية في المدارس والتمكين لها في نفوس الناشئة وأبناء الجيل الجديد على صفحات المجلات والصحف وعبر أجهزة الإعلام المتنوعة.

لقد قضى النورسي حياته وهو يريد أن يثبت من خلال رسائل النور أستاذية القرآن في الكون كله كي ينتهي إلى أن تلاميذ القرآن هم أساتذة الدنيا في التمسك بالعقيدة الصحيحة والشريعة الحكيمة والروحانية العالية والأخلاق السامية والسلوك الرباني المستقيم لتعود للمسلم ثقته بنفسه واعتزازه بأستاذيته فلا يستعبد لمبادئ الكفر وأخلاق الكافرين حتى يعيد دوره الحضاري الكامل في هذه الدنيا وبذلك ينقذ البشرية بقوة مبادئه الربانية من الإلحاد والانحراف والانحلال.

خصائص رسائل النور:

كان بديع الزمان حائراً وكان يفكر في قضية (الموت حق) وأخذ كتاب الشيخ عبد القادر الكيلاني وفتح ووجد أمامه العبارة الآتية (أنت في دار الحكمة فاطلب طبيباً يداويك) ، وتحير في هذا الأمر ثم جاءه خاطر من الله تعالى يهتف به (إن بداية هذه الطرق جميعها ومنبع هذه الجداول كلها وشمس هذه الكواكب السيارة إنما هو القرآن الكريم فتوحيد القبلة الحقيقي لا يكون إلا في القرآن الكريم، وقد اعتصمت به واستمدت منه الأنوار المستقاة، يقصد (رسائل النور) ، فليست المسألة مسألة علمية فقط وإنما هي مسائل قلبية وروحية وأحوال إيمانية، فهي بمثابة علوم إلهية نفسية ومعارف ربانية سامية.

ولذلك فإنه كان يستلهم من الآية الكريمة معانيها وكان يعيش حالات قلبية وروحية خالصة في أجوائها فيملئ على المختصين بالكتابة من الطلبة ما يفتح الله به عليه وما يرد على قلبه من معاني الآية الكريمة، ولم يكن لتلك الفتوحات القلبية من وقت معين ولا مكان معين، ولذلك فقد أحاط به طلبته ليل نهار يكتبون ما يفتح الله به عليه، أو أية خاطرة يملئها فيسجلونها، فضلاً عن أنه كتب بعض رسائله بنفسه ولا سيما في داخل السجون.

ومن الملاحظ أن هناك رسائل كتبت في عشر دقائق وأخرى كتبت في ست ساعات، وقال في تقديمه للرسائل أنها تفسير قيم القرآن الكريم، الذي يتصف بعدة صفات: أولاً: أستاذية القرآن الكريم فهو وحده المرشد للمؤلف دائماً.

ثانياً: إبراز القرآن الكريم بصفاته الكامل.

ثالثاً: تجرد المفسر التجرد الكامل.

رابعاً: قدرة القرآن على مخاطبة الطبقات كافة، ابتداء من العوام وانتهاء بالخواص بأسلوب شائق.

خامساً: الإيجابية في إثبات حقائق الإيمان.

سادساً: مخاطبة جميع لطائف الإنسان؛ العقل والروح والوجدان.

سابعاً: تقويم السلوك، فقد حول مجتمعاً كاملاً إلى مجتمع جديد، وغير سلوك الأفراد تغييراً كاملاً، وطهرهم من الأنانية والضلالة والنفاق.

ثامناً: اتباع السُّنة الشريفة قولاً وعملاً، فهو الطريق الأقوم للوصول إلى روح المعاني السامية للقرآن الكريم.

تاسعاً: الاستعلاء على الضغوط والصعاب.

وهذه الرسائل تثبت الحقائق الإيمانية للقرآن الكريم إثباتاً مدعماً بالحجج الرصينة والبراهين القاطعة، وهي تقوم بإثبات الإيمان بإقامة البراهين الساطعة والدلائل الكثيرة، فقد بات كل من يمعن النظر فيها يحكم بأنها أصبحت كالخبز والدواء في هذا العصر.

وهذه الرسائل تعتبر كتاب شريعة وعقيدة، وكتاب دعاء وحكمة، وكتاب عبودية ودعوة، وكتاب ذكر وفكر، وكتاب حقيقة وتصوف، وكتاب منطق وعلم كلام، وكتاب حث على العمل وإلجام المعارضين وإسكاتهم. وهي تدور حول معاني التوحيد، وحقيقة الآخرة، وصدق النبوة، وعدالة الشريعة، وغير ذلك.

وكان بديع الزمان يستلهم موضوع كل رسالة من عدة آيات تتصدر الرسالة، ثم يسبداً بمقدمة مُركزة تلخص الموضوع، ثم تتدرج في شرح الموضوع وتبسيطه، مع ضرب للأمثال لعرض الفكرة وتجليتها للناس حتى يكون فهمها عليهم ميسراً.

أسلوب الرسائل:

وأسلوب الرسائل كان يتغير حسب المواقف والموضوعات، فترى الأسلوب الرقيق اللين والأسلوب العلمي الدقيق والعبارات المنطقية التي تدعو إلى إعمال الفكر والعقل، ثم إن الرسائل حينما كانت تخاطب الناس المعارضين كانت تقسمهم إلى قسمين:

الأول: الذين يرفضون الحقائق الإيمانية ويحاربونها بشتى الوسائل، وهؤلاء كان يهاجمهم بعنف ويدحض أباطيلهم بإيراد الأدلة القوية الكافية، كما أنه كان يُفند حججهم الواهية إلى جانب تذكيرهم بالآخرة.

الثاني: مسلمون إلا أنهم يعترضون على بعض فقرات جاءت منها، أو طريقتها في العمل لخدمة الإسلام، وهؤلاء كان يستخدم معهم أسلوب الدفاع دون الهجوم، ودون التهوين من شخصياتهم أو من آرائهم، مع بيان صواب وجهة رسائل النور، وذلك حفاظاً على إيمان المؤمنين من التصدع، واجتناباً لما قد يستفيد منه أهل الإلحاد في هذه الخصومة بين طائفتين من أهل الحق يجرح أحدهما بسلاح الآخر واعتراضاته.

ويرى بديع الزمان أن أوروبا تنقسم إلى قسمين:

١ - أوروبا النافعة للبشرية بما استفادت من النصرانية الحققة، وأدت خدمات لحياة الإنسان الاجتماعية بما توصلت إليه من صناعات وعلوم تستند إلى العدل والإنصاف.

٢- أوروبا التي تعنتت بظلمات الفلسفة الطبيعية، وفسدت بالمادية الواضحة، وحسبت سيئات الحضارة حسنات لها، وتوهمت مساوئها فضائل، فسأقت البشرية إلى السفاهة، وأوردتها الضلالة والتعاسة.

وكان يوجه خطابه إلى أوروبا حتى تتنبه إلى الحقائق المحيطة بها وتثوب إلى رشدها. وكان أسلوب الرسائل في رد الشبهات الواردة على الإسلام أو على الآيات الكريمة أو الأحاديث الشريفة تكمن في أن الرسائل تردّها دون الذكر الصريح للشبهة إلا فيما ندر وفي دراسة التاريخ وتفسيره يشعر القارئ ضمناً أنه يقرأ السيرة والتاريخ الإسلامي وفق المنهج القرآني الذي يسلط الأضواء على حوادث دقيقة لاستخلاص العبر العظيمة التي تكتنفها ولبیان قدرة الله تعالى وإطلاعه وعلمه بالأمر ما ظهر منها وما خفي وتوضيح سنته في الكون.

وفي دراسة الخلافات الفكرية تدعو رسائل النور إلى نصب ميزان العدالة الإلهية الذي يزن به الله سبحانه وتعالى أعمال المكلفين يوم الحشر وإلى إقامته في الدنيا كذلك عند ذكر الأشخاص والجماعات.

ولأن رسائل النور هي تفسير للقرآن الكريم فإنها أوردت كثيراً من الأمثال حتى يمكن أن يعد ضرب الأمثال طابعها المميز، ومن هنا كان الإقبال من جميع الناس على قراءتها والاستفادة منها، والذي يستمر في قراءة هذه الرسائل يجد في نفسه نشوة روحية وشفافية، ويكتسب غذاء روحياً وعقلياً لذيذاً وسعة في الأفق وخصوبة في الخيال.

كيف تقرأ الرسائل؟

يقول الشيخ بديع الزمان: إن طالب النور بعد أن يستيقن الإيمان ويستمر في قلبه بدراسته للكلمات، ينتقل إلى (المكتوبات) ليغترف أجوبة لأسئلة كثيرة، أو ليعيش في صحبة الرسول ﷺ، ثم ينتقل إلى (اللمعات) ليعيش مع الأنبياء عليهم السلام، وليأخذ حذرهم من الشيطان ومكائده وضلالات العلوم الحديثة حتى يرقى في النهاية إلى تذوق معاني الأسماء الحسنى بعد أن أخذ حصته منها في (الكلمات)، أما إذا رأى في نفسه خوفاً

أو تردداً أمام أهل الضلالة وملاحقتهم له فعليه أن يقرأ (الشعاعات) حيث أن فيها التوحيد الخالص وأمور الرجال ودفاع الأستاذ في المحاكم.

فقه العمل:

وحيث أن الأحداث اليومية ومجاهدة النفس والناس تتجدد يومياً فلا بد وأن طالب النور يكون في حاجة إلى (فقه العمل) ، لذلك وجه الشيخ بديع الزمان رسائله إلى تلاميذه من السجون والمعتقلات وفي ظروف مختلفة وحثهم على العمل الدائب والشورى فيما بينهم والحذر من مكائد أهل الضلالة والشیطان، وكل ذلك وغيره من الأمور الدقيقة يجدها الطالب في (الملاحق) ، أما الموازين الاجتماعية والسياسية فإن رسالة (الخطبة الشامية) تضم أسسها العامة وتحتوي الرسائل الأخرى ثقافتها أيضاً، كما تجد في (السنوحات) و (المنظرات) إقامة للموازين الدقيقة التي يتمكن بها تلميذ رسائل النور من وزن الأحداث حسب المفهوم الإيماني فضلاً عما ضمنه الملاحق من تلك الأمور، ولا يعني هذا أن الطالب لا ينتقل من مجموعة إلى أخرى إلا بعد مرحلة وإنما يعني أن لكل مجموعة نكهتها الخاصة بها، وتحدثت هذه الرسائل عن السنة النبوية الشريفة شارحة المعجزات.

وفي الفقه:

تحدثت عن الاجتهاد، ووحّدت رسائل النور بين وجهات النظر المختلفة لأصول الدراسة والتفكير بين المدرستين العقلية الفقهية، والقلبية الصوفية، وأزالت ما بينهما من المناقشات والخلافات الظاهرة.

وفي علم الكلام:

ترى أسلوب العرض القرآني لمسائل وجود الله تعالى والوحدانية والنبوة والآخرة والقضاء والقدر بشكل واضح يخاطب قلب الإنسان وفكره وعقله وخياله. ويرى أن التصوف فاكهة، وأن الحقائق الإسلامية خبز، وكتب الصوفية تصفي الأذواق والفيوضات لمن ارتقى إلى درجة الأولياء.

وكتب رسائل النور تخاطب كل إنسان، وتريه الحقائق الإيمانية، وتحنه على إنقاذ إيمانه الذي فيه سعادته، وطالب العلم له حجج وبراهين يتمكن عن طريقها أن يغزو العالم، والمريد الصوفي له قناعة ذاتية خاصة وشخصية.

وفي العلوم الكونية:

تبحث الرسائل المسلمين على وضع أسس وقواعد للبحث العلمي، وما يجب أن يتحلى به كل باحث، ودفع المسلم وتشويقه إلى التخصص في مادة واحدة دون صرف الجهود إلى عدة علوم.

والرسائل تذكر الأمثلة العلمية، وتخوض في أغلب العلوم المعروفة ملتقطة منها أمثلة واقعية يفهمها القارئ ويستسيغها، حيث أنها تقرب الحقائق التي أتت بها العلوم الحديثة، إلا أنها تعزو سبب الضلالة الناشئة في العلوم الحديثة إلى حصر المنظر في الأسباب الظاهرة دون رؤية يد القدرة الحكيمة التي تهى وتسير تلك الأسباب وفق نظام دقيق.

وفي الفلسفة:

نرى الرسائل تشن هجوماً عنيفاً ودائماً على تلك الأفكار والكلمات والأسس الفاسدة التي يستند عليها الماديون الطبيعيون، وتسرد الدلائل التي تبين الطريقة التي يشكلها المنكرون من الماديين الطبيعيين بعيدة كل البعد عن المُسَلِّمات المنطقية والعقلية - إنها محض خرافة.

الخطبة الشامية:

هي الخطبة التي ألقاها في المسجد الأموي بدمشق وفي مقدمة هذه الخطبة قال:
إن في الإيمان نعيماً معنوياً في هذه الدنيا، وإن في الانغماس في مهاوي الضلالة جحима معنوياً في هذه الدنيا، وإن عصرنا يتميز بطابعين:

الأول: الستعامي عن رؤية العاقبة، وترجيح درهم من اللذة الكاملة على كثير من الملذات الآتية بسبب طغيان المظاهر المادية، والسبيل الوحيد لإنقاذ أهل السفاهة من الناس من سفهمهم هو إظهار الألم المبرح في تلك الملذات الغالبة على حسهم.

الثاني: الضلالة المترتبة على الإلحاد والعلوم الطبيعية، والتمرد المتولد عن الكفر العنادي في الماضي، وسبيل إنقاذهم يكون في محاربة أشد المعاندين تمرداً بسيف القرآن، وتنصيب الحجج والأدلة على الوحدانية الإلهية والحقائق الإيمانية.

ولذلك فإن رسائل النور تقوم بتعمير تخريبات عامة كلية، وترمم قلعة مخيطة عظيمة، صخورها كالجبال تحتضن الإسلام وتحيط به، وهي تسعى ويدها إعجاز القرآن لمداومة القلب العام وضمان الأفكار العامة المتكلمة بالوسائل المفسدة التي هيئت لها وتراكت منذ ألف سنة، وتنشط لمداواة الوجدان العام الذي توجه نحو الفساد نتيجة تحطم الأسس الإسلامية وشعائره التي هي المستند العظيم للجميع وبخاصة عوام المؤمنين، نعم إنها تسعى لمداواة تلك الجروح الواسعة الغائرة بأدوية إعجاز القرآن والإيمان، وأمام الإنسان طريقان: الأول: هو طريق ذو شقاء يريه إياه داعية الضلال.

والثاني: طريق ذو سعادة الذي بينه القرآن الكريم.

وكان الشيخ بدیع الزمان النورسي يحب العرب، ويرى أنهم أصحاب الفضل في حمل رسالة الإسلام، ودعاهم إلى أن يعيدوا دورهم في حمل رسالة الإسلام، حتى ينقذوا أنفسهم مما هم فيه من ذل وتيه.

ولذلك فقد كان يرغب في أن تترجم كل رسائل النور إلى اللغة العربية، لتقوم بدورها في إعادة المفاهيم الإسلامية إلى قلوب العرب، وتحملهم على أداء وظيفتهم، وقد اختار أخاه الملا عبد المجيد لذلك العمل فترجم بعض الرسائل، ثم قام الشيخ سعيد البوطي بتعريف العرب بالنورسي في مجلة حضارة الإسلام تحت عنوان:

(سعيد النورسي أعجوبة الثورة الإسلامية في تركيا)، ثم في كتاب (من الفكر والقلب)، ثم قام في عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م جماعة من تلاميذ النور بالترجمة والطبع في بيروت لبعض أجزاء رسائل النور، كما قامت مجلة التربية الإسلامية التي تصدر في بغداد بالعراق بنشر مقالات من ترجمات الأستاذ إحسان الصالح، ثم نشر الأستاذ الصالح عدداً من رسائل النور، كما أن هذه الرسائل ترجمت إلى اللغة الكردية، وإلى اللغة الإنجليزية، والألمانية، والإيطالية، وغيرها.

مجموعة اللغات

مجموعة اللغات من رسائل النور التي تهدف إلى مداواة قلوب الناس جميعاً، وتنشط لمداواة الوجدان العام الذي توجه نحو الفساد نتيجة تحطم الأسس الإسلامية وشعائره التي هي المستند العظيم للجميع.

اللمعة الأولى والثانية:

تبين كل منهما سراً مهماً لآية أيوب عليه السلام، الذي نادى ربه بأن الضر قد مسه وأنه أرحم الراحمين، فتقبل الله تعالى تلك المناجاة الخالصة له بدون غرض، ويقول: هناك جروح قلبية باطنة، وجروح وأمراض ظاهرة، ولاحق لإنسان في الشكوى من المصائب والأمراض لأن الحياة تتصفي وتتنقى وترقى بالمصائب والعلل، والدنيا دار امتحان وليست مكاناً للذة، ثم إن المصيبة الأساسية الضارة هي المصيبة النازلة بالدين ولا بد من الاستقامة والالتجاء إلى الله تعالى من مصيبة الدين، ثم إن دقائق عمر الصابرين يصير بمثابة ساعات العبادة في حق أهل الصدق والشكر، فتسد باب الشكوى وتفتح باب الشكر دائماً.

اللمعة الثالثة:

تبين أن الباقي هو الله، والتوجه إلى الله تعالى يجرد القلب ويقطعه عما سواه، والإنسان الفاني خلق للبقاء وكُلّف بأمور تُثمر ثمرات باقية، ولذلك فإنه يبذل عمره الفاني لعمره الباقي، وتصير نوائبه بمثابة السنن، وعليه أن يتوجه إلى الباقي بجميع أجهزته وبكل استعداداته، فيذهب في طريق الباقي فالله هو الباقي المطلوب المعبود.

اللمعة الرابعة:

تعبير عن كمال شفقة الرسول وكمال رحمته إزاء أمته، وهو لا يسأل أجراً إزاء أداء وظيفته الرسالية وإنما يسأل المودة لآل البيت فحسب.

ويلاحظ أن الإفراط والتفريط في أي شيء غير مقبول، والاستقامة هي الوسط، ولا بد وأن يزيل أهل السنة والشيعه النزاع الضاري الذي لا معنى له، وإلا فإن تيار

الزندقة الذي يحكم الآن بصورة قوية يجعل بعضهم أداة لضرب الآخرين، ولابد من ترك مسائل جزئية تفضي إلى الافتراق، وقد كان بينهم مئات روابط قدسية تأمر بالأخوة والاتحاد.

اللمعة السابعة:

تبين ثمانية أخبار من وحي الأخبار بالغيب، وذلك في الآيات الثلاثة الأخيرة من سورة الفتح، وتثبت أن هذه الآيات معجزة باهرة على حدقها وتبين في حقيقتها صفة إعجازية مهمة من آية: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ (النساء: ٦٩) ، وتشير إلى أوصاف الصحابة، وإلى أشخاص في طبقات شهيرة من الصحابة مثل أصحاب بدر.

اللمعة التاسعة:

عبارة عن إجابة لبعض أخوة النور عن الروح وعن عيسى عليه السلام الذي يخيل لبعض الناس أن له أباً .

اللمعة العاشرة:

تبين صفات الشفقة التي ذاقها أصحابه في الخدمة القرآنية في عاقبة سهوهم وأخطائهم بمقتضى البشرية، وتبين سلسلة من كرامات خدمة القرآن، ونبذة من كرامة الغوث الأعظم الذي يحرس تلك الخدمة القدسية، حتى يثبت الذين دخلوا في هذه الخدمة القدسية في خدمتهم.

اللمعة الحادية عشرة:

تثبت أن منابع سنة الذات المحمدية هي أقواله وأحواله وأفعاله، وأن كلا منها ينقسم إلى الفرائض والنوافل والعادات، وأن الرسول ﷺ فرد فريد من نوع البشر معنى وروحاً، كما أنه كذلك في القوة الجسمانية والنفسية وفي وسط نقطة الاعتدال والكمال، وهذه الرسالة ترياق أنفع وأكبر وأعظم، وإيقاع السنة مهم ولازم، واتباع كل نوع من أنواع السنة بتمامه، وبالعقل إنما يتيسر لأخص الخواص.

اللمعة الثانية عشرة:

هذه اللمعة تبين أن الله تعالى هو الرزاق ذو القوة المتين، وأن عموم الأرزاق بيد القدير ذي الجلال، وآيات الإعجاز تبين أن السماوات سبع، والأفكار المادية الملحدة التي هي في حكم الجن والشياطين لا تستطيع أن تطلع إلى تلك الطبقات السبع من سماء القرآن النازل على القراءات السبع والمعجزات السبع والحقائق السبع .

اللمعة الثالثة عشرة:

تحدث عن حكمة الاستعاذة بالله تعالى في قول المسلم (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ، وتفسر حقيقة أهم من سورة (قل أعوذ برب الناس) إلى آخرها، وتبين حكمة غلبة حزب الشيطان على حزب الله مرات كثيرة مع أنه لا دخل للشياطين في الكائنات أصلاً في جهة الإيجاد، وكيف تسمح رحمة الرحيم بإيجاد الشياطين وتسليطهم على المؤمنين ودخول كثيرين في الكفر وفي جهنم، والورع الواقفي من ذلك في التقوى المصنوعة في مصنع القرآن والسلاح يكون في الالتجاء إلى الاستعاذة والاستغفار والحفظ الإلهي، وأن أهم أسلحة المؤمنين وأجهزتهم التعميرية إزاء التدميرات الرهيبة للشياطين يكون بالاستغفار والالتجاء إلى الله تعالى بقول المسلم (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ، وأن الحصن هو السنة النبوية.

ويجيب الشيخ سعيد عن سر انهزام أهل الإيمان مع ما لديهم من أسباب الهداية والاستقامة أمام دسائس الشيطان الضعيفة، ويبين أن أخطر دسياسة شيطانية هي أنه يلبس تخيل الكفر بتصديق الكفر، وملجأ المؤمن يكون بالحقائق الإيمانية والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، ويبين أن من دسائس شيطان الإنس والجن أن يجعل مذهب أهل الحق وهم أهل السنة والجماعة مقراً، ويبين سبب انهزام حزب الله أمام حرب الشيطان مع مظهرينهم لذلك القدر من العناية الإلهية، وعن حكمة إصرار المنافقين في الضلالة وعدم هدايتهم وهم في حوار نبوته ورسالته المشرفة، وعن أسلوب إبليس في أنه ينكر نفسه لمن يتبعونه، والدليل القاطع على وجود الشيطان الجني هو وجود الشيطان الإنسي، ثم يبين سر

أن جهنم جزاء العمل وأن الجنة فضل إلهي، وباحتساب الله تعالى السيئة بسيئة مثلها والحسنة بعشر أمثالها أو بألف، فإن الله تعالى يظهر بذلك الوجه (كمال رحمته) ، وأن السر الخفي الذي يفهم دسيمة الشيطان هو (الله أكبر) .

والشيطان لا يترك الإنسان ليعترف بقصوره أمام الله تعالى، وذلك ليسد أمامه باب الاستعاذة والعودة إلى الله تعالى، ولذلك فإن دسيمة الشيطان تفسد الفرد وتفسد المجتمع أيضاً.

وعلى المسلم أن يزن أعماله وخواطره بميزان محكمات القرآن، وأن يجعل القرآن والسنة له دليلاً، فبذلك تسلم حياته الدينية والشخصية والاجتماعية.

اللمعة الرابعة عشرة:

يبين في هذه اللمعة ستة أسرار من أسرار (بسم الله الرحمن الرحيم) ، ويطلب المسلم بالتمسك بتلك الحقيقة وتخلصه من الوحشة المطلقة ومن آلام الحاجات التي لا خير فيها، وأن يعلم أن الوصول إلى عرش رحمة الله تعالى يكمن في (بسم الله الرحمن الرحيم) ، ووسيلة الوصول إلى هذه الرحمة المجسمة إنما هي الصلوات، وعلى المسلم أن يجعلها الوسيلة للوصول إلى رحمة رب العالمين.

اللمعة السادسة عشرة:

هذه السلمعة تبين أن كثيرين من الرؤساء سكارى لا يقرؤون النور، وإذا قرؤوه لا يفهمونه أو يؤولونه تأويلاً خاطئاً ولذلك يعترضون عليه، كما أنه يجيب عن أسئلة طرحت عن سد ذي القرنين ويأجوج ومأجوج.

اللمعة السابعة عشرة:

تتحدث هذه اللمعة عن قطع علاقة القلب بالأشياء الفانية التي تفارق الإنسان، وفي أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعن حقيقة الموت وإعادة الإنسان في يوم الحشر الأكبر ببيان قانون مطرد من عادات الله في إعادة الأشياء القيمة بعينها في الفصول والعصور، وتكشف الغطاء عن وجه المدينة السقيم، وتحذر المتحمسين الذين يجرون المسلمين على تقليد الأجانب، وعلى انفصام أواصرهم بالدين وصيرورتهم سموماً في

المجتمع، وتفسر سراً من آية ﴿ وَرَحِمْتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (الأعراف: ٥٦) وأمثالها، وتبين أن الخير والكمال مع الأنبياء، والشر والضلال مع المخالفين لهم.

اللمعة التاسعة عشرة:

تتحدث هذه اللمعة عن الاقتصاد والقناعة والإسراف والتبذير، فالإسراف ضد الشكر واستخفاف بالنعمة، والاقتصاد احترام لها، والمقتصد لا يعاني محنة العيال وتكلفة العيش كثيراً، ولذة الفقير من أكل خبز يابس تفوق لذة السلطان من أعلى الحلويات، وقال: إن الاقتصاد من الأخلاق النبوية ومن نظام الحكمة الإلهية، وقال: إن الإسراف ينتج عدم القناعة وذلك سبب الخسران، والحرص يهدم الإخلاص، ويخل بالعمل الأخروي، ويفتح باب الرياء، والاقتصاد ينتج القناعة، والقناعة تنتج العزة.

اللمعة العشرون:

يتحدث الشيخ بديع الزمان في هذه اللمعة عن أهمية الإخلاص في الإسلام، ويبين سبعة أسباب لاختلاف أهل الحق والهداية، وتزاحم أهل الحق في وظائفهم النازرة إلى جميع الناس وفي أجورهم المادية والمعنوية المشتركة، وقال: إن علاج ذلك يكون في الإخلاص، ويقول: إن العزة المعنوية الناشئة عن مسلك أهل الهداية يكون بالاستناد إلى الحق والحقيقة، والاعتماد على توفيق ربهم، والوسيلة للخلاص من نتائج الوخيمة، وسوء استعمال علو الهمة الموجب للاختلاف والحسد يكون علاجه في معرفة أن رضا الله تعالى يحصل بالإخلاص، ويتحدث عن عدم الاستقامة والإخلاص لأتباع الناس ميولات القلب والعقل لا لحسيات النفس، وعلاج ذلك يكون بالإخلاص والمتابعة لأهل الحق وترك شرف القدوة لهم، ويتحدث عن انقسام الناس ودعوتهم إلى ترك المنازعات الداخلية، والتأدب بالأدب القرآني، والمحافظة على علو الهمة لا إساءة استعماله، والوسيلة لمنع هذا المرض يكون باهتمام النفس والتزام أهل هذا المسلك واتباع أهل الحق والإنصاف.

اللمعة الحادية والعشرون:

يتحدث الشيخ بديع الزمان في هذه اللمعة أيضاً عن الإخلاص، فيقول: إن ذلك يتطلب العمل على رضا الله تعالى، وجعله أمام المقاصد، وترك الانتقاد على الإخوان في

خدمة القرآن، واجتناب التفاخر عليهم، ومعرفة أن القوة كلها تكون في الحق والأخلاق، ثم إن تحصين الإخلاص وحفظه هو رابطة الموت وتصور فناء الدنيا، ثم إن تكسب نوع من الحضارة يكون بالإيمان الحقيقي وباللمعات الواردة عن التفكير الإيماني، أما موانع الإخلاص فإنها تكون في حب الجاه وتكبر النفس الأمارة بالسوء، وتحصيل توجيه العامة والتحاسد في جهة المنفعة المادية والخوف والطمع.

اللمعة الثانية والعشرون:

هذه اللمعة تجيب عن أسئلة وجهت إلى الشيخ بديع الزمان، مثل: لماذا يتدخل أهل الدنيا في أمور الآخرة في كل فرصة - مع أنه لم تخالط دنياهم ؟ ، ولماذا تُفرض قوانين الجمهورية تحت غطاء العزلة ؟ ، ولماذا لم يحترم أهل المعارف رجلاً من أهل المعرفة (يقصد نفسه) ؟ .

اللمعة الثالثة والعشرون:

تتحدث هذه اللمعة عن الطبيعة وعن مذهب الطبيعيين، وأن حل هذه المشكلات يكون بالانتساب إلى الله تعالى، كما تتحدث عن حكم تارك الصلاة وتهديد القرآن الكريم له.

اللمعة الرابعة والعشرون:

تتحدث هذه اللمعة عن الحجاب، ويقول (إن فطرة النساء / ما لم تفحش / تقتضي الحجاب والتستر لضعفها واحتياجها إلى زوجها وتحيبها له بدون همة ليحفظها ومن تحبهم من أولادها، وفي أن العلاقة بين الزوجين لا تعود إلى الحياة الدنيا فقط بل إنها تدوم في الآخرة أيضاً، وذلك يقتضي الحجاب لتحصر محاسنها على رفيقها الأبدي بلا خيانة، ويقول إن سعادة الأسرة تقوم على الحب الخالص والاحترام والأمن المتقابل بين الزوجين، بينما العرى والتبرج ينتقص ذلك الحب والاحترام ويُفسد الأمن بينهما، ثم إن كثرة التناسل المطلوبة لدى كل ملة وكل حكومة، ورفع الحجاب يقلل الزواج، لأن أي شاب سفیه لا يجب أن تكون رفيقته عارية غير عفيفة، وأشد الفتن في آخر الزمان تكون بسب النساء، ثم تبين هذه اللمعة بطولة النساء في الشفقة والفداء ولا سيما لأولادهن، ويقول في هذه اللمعة: إن بعض الجمعيات فيها مفسدة لأنها تعمل / تحت الغطاء / لإضلال الطائفة

العاقلة من النساء، وأن الوسيلة لإنقاذ سعادة دنياهن وآخرتهن تكون في التربية الإسلامية، ثم إن اللذة الحقيقية إنما تكون في دائرة الإيمان، وإن في الإيمان نواة الجنة وفي الضلال نواة جهنم.

اللمعة الخامسة والعشرون:

تحدث الشيخ بديع الزمان في هذه اللمعة عن بعض الأمراض وطرق علاجها، وقال: إن علاج المرض اليائس يكون في الصبر والشكر، وعلاج الضجر يكون في تصور فناء الدنيا وزوالها والاستعداد للقبر وما بعده، وعلاج المريض المشتكي يكون في الصبر والشكر، فالمرض إحسان إلهي لبعض الناس في هذا العصر لأنه يوقظه من الغفلة، ولا بد من ترك حب الدنيا قبل أن تطرد الإنسان عنها، والمريض يغسل الذنوب وينظفها لأن الذنوب أمراض دائمة في الحياة الأبدية.

والموت لأهل الإيمان تسريح عن كلفة الحياة ووصول إلى الأحباب الذين ارتحلوا إلى عالم الآخرة، والمريض يورث لذة روحية في ثوابه، ولذة معنوية في زواله، والمؤمن التقى يفوز بثواب أوراده ونوافله التي يتركها بسبب المرض.

والمريض هدية إلهية لبعض الناس ولذلك أعطاه للأنبياء ومنهم أيوب عليه السلام، فهو يلقي الإنسان الرحمة والاحترام، ويفتح باب الخيرات ويكون أهم وسيلة لقبول الدعوات ويحصل الثواب للمريض، وعلى المريض أن ينظر إلى من فوقه في المصيبة حتى يشكر الله تعالى.

والمريض قسمان: مرض حقيقي له دواء لأن الله تعالى خلق لكل داء دواء، ومرض وهمي وعلاجه المؤثر يكون في عدم الاهتمام به.

والمريض له لذة معنوية تنشأ عن شفقة أقربائه وأصدقائه وتزيل تأثير ذلك الألم المادي، والمريض عليهم أن يزيدوا في الاستغفار والتوبة والصلاة والعبادة.

اللمعة السادسة والعشرون:

تحدث هذه اللمعة عن الشيب الذي يحس الإنسان بوجوده، وأن ذلك دليل على أنه يمشي إلى القبر، وأن جسمه ينهدم بسقوط حجر منه كل يوم، وأن صحة البدن التي تدم

الغفلة اختلت في زمن، وأنه أصبح متوحشاً عن الناس يقيم وحده مثل الصنوبر في مصيف بارلا، وأن أهل الدنيا ظنوه سعيداً القديم فدعوه إليها في بداية شيبته فانقلب ضحك سعيد القديم ببيكاء سعيد الجديد، وعلى المؤمن ألا يشتكي من شيب معه إيمان بل يشكر الله عليه آلاف الشكر.

كما تتحدث هذه اللمعة عن إدراك العناية الإلهية إلى إمداد مؤلف رسالة النور وطلبته بانكشاف خدمة الإيمان والقرآن في داخل السجن وخارجه وفي الدوائر الرسمية واتساع دائرة النور وسائر أبواب الرخاء.

اللمعة الثامنة والعشرون:

في هذه اللمعة بعض فقرات لتسلية تلاميذه وذلك حينما كان في سجن مدينة (اسكيتشر) تمت محاورة عن الذباب وبيان أنه ليس ناقلاً للجراثيم، بل إنه جهاز لاستحالة أنواع السموم والمواد الضارة، ولم تكشف الحكمة البشرية عن سرها بعد.

وفي هذه اللمعة تفسير لبعض آيات القرآن الكريم لتسلية طلبة رسائل النور الذين كانوا في السجن، ودستور في بيان أهمية الانتساب إلى رسائل النور، وأنها تبين مشرب الصحابة رضوان الله عليهم، وفيها دفاع عن رسائل النور وتلاميذها، وجزء من دفاعاته أمام المحكمة، وبيان لزوم التفاهم بين الحكومة والعلماء، وبعض فقرات يخاطب بها إخوانه المسجونين إرشاداً وتسلية لهم، وبيان وجود المكافأة العاجلة في الأخلاق الحميدة، والمجازاة العاجلة في الأخلاق السيئة، وجواب عن سؤال عن رجم الشياطين، والرد على انتقاد أهل الضلال، وبيان أهمية الوحي القرآني والنبوة المحمدية، وحراسة طريق الوحي من العرش الأعظم إلى القلب المحمدي.

اللمعة التاسعة والعشرون:

تتحدث هذه اللمعة عن تفكير عال للإيمان، ومعرفة سامية في التوحيد وفي بيان مظاهر حقائق مبسطة وأنوار عظيمة لعقل المؤلف وقلبه في مسلك الفكر وفي تسبيح كل المخلوقات من إنس وجن وملائكة وسماوات، وفي الحمد لله على نعمة الإيمان المزيل عن الظلمات، والمنور لنا الجهاد، والمزيل للآلام عن اللذائذ المشروعة، وعلى نور الإيمان الذي

يصور ما يتوهم أعداء وأجانب وأموات وإخوان وأحباء، وعلى نور الإيمان المصور للدارين، وتحدثت هذه اللمعة عن مراتب الله أكبر، فهو الذي صنع الإنسان بقدرته كالكائنات بقلم قدرة الإنسان، كما تحدثت عن الشهادتين، ودلالة أوصاف النبي ﷺ على وجوب وجوده ووحدته سبحانه وتعالى، وفي مراتب حسبنا الله ونعم الوكيل.

اللمعة الثلاثون:

هذه اللمعة من ثمرات سجن (اسكيتشهر) وثبت وجود الواجب ووحدته بحقيقته فعل التنظيم العام لجميع الموجودات، وثبت وجوده ووحدته بالميزان الأكمل العام لجميع الموجودات، وفي بيان قاعدة مهمة للجمال والكمال وهي أنهما يستلزمان تشبهيهما وشهوهيهما وإشهادهما، وأن الانتظام في كل شيء في نهاية الدرجة لا يقبل الاشتراك في ملكه تعالى، وأن الحمية الجارية في جميع الموجودات تدل على وجود الآخرة التي هي الحكمة الأصلية.

الخطبة الشامية

في شتاء عام ١٣٢٧هـ/ ١٩١١م سافر إلى الشام وكانت أخته هناك، وألقى خطبة باللغة العربية قال فيها: إن عصرنا يتميز بطابعين عجيبين:

الأول: التعامي عن رؤية العاقبة وترجيح درهم من اللذة المائلة على قنطار من اللذة الآتية، بسبب طغيان المحسوسات على عقل الإنسان وفكره.

الثاني: الضلال المترتب على الإلحاد والعلوم الطبيعية، والتفرد المتولد عن الكفر العنادي في الماضي.

وكان يرى أن العرب هم أساتذة المسلمين على امتداد الزمان والمكان، ولذلك طالبهم بأن يأخذوا دورهم في إعادة مجد الإسلام، ولذلك ألقى العلامة سعيد النورسي خطبته على منبر الجامع الأموي بدمشق، وكان في الخامسة الثلاثين من عمره.

هذه الخطبة التي طبعت مرتين خلال أسبوع واحد، وقال مخاطبا العرب مؤملا فيهم
الآمال الكبيرة مبينا أمراض المجتمع الإسلامي، قال: هناك ستة أمراض قاتلة جعلتنا نقف
على أعتاب القرون الوسطى نتيه في مسالكها المظلمة ، في الوقت الذي سار فيه الأجانب،
وبخاصة الأوربيين، بخطى سريعة نحو المستقبل وهم يتسابقون في ميادين الرقى والتقدم
العلمي وهذه الأمراض هي:

أولاً: اليأس والقنوط الذي مازال يجد أسباب الحياة في نفوسنا .

ثانياً: موت الصديق في حياتنا الاجتماعية والسياسية .

ثالثاً: حب العداوة .

رابعاً: تجاهل الرابطة الروحية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض .

خامساً: ذبوع الاستبداد وذبوع الأمراض المعدية المختلفة .

سادساً: حصر الهمة في المنفعة الشخصية دون الالتفات إلى النفع العام .

وقال: إن العلاج يكون من صيدلية القرآن الكريم على النحو الآتي:

الثقة في الرحمة الإلهية والاعتماد عليها إلى أقصى حد، لأن الإسلام يحمل في طياته
استعداداً تاماً للرقى والتقدم معنى ومادة، والتاريخ يشهد على أن السر في قوة المسلمين
ورقيهم وتقدمهم يكمن في تمسكهم بدينهم، ولو أننا طبقنا الإسلام وأظهرنا كمالات
أخلاقه وحقائقه الإيمانية في سلوكنا وأفعالنا لدخل أتباع الأديان الأخرى في الإسلام
جماعات وأفراداً، بل ولربما اعتنق الإسلام بعض قادة ودول العالم بأسره، وما لم يوجد
صوت القلب جوهر الدين الحق وروحه فسوف تقوم قيامة مادية ومعنوية على رأس
البشرية.

نرى لماذا لم تستول حقائق الإسلام الساطعة على قطعة الزمان الماضي ؟

والجواب يكمن في جهل الأجانب وتوحشهم وبعدهم عن التمدن وبغضهم لدينهم

آنذاك ، وقد بدأت هذه الأسباب تزول بفضل التقدم العلمي ومحاسن التمدن.

وقال: إن من الأمراض رئاسة القسيسين والزعماء الروحانيين وتحكمهم في أفكار

وأذهان الناس وتقليد الأجانب لأولئك القسيسين والزعماء الروحانيين تقليد أعمى، وقد

أخذ هذان المانعان أيضا في الزوال بعد انتشار الحرية الفكرية وميل النوع البشري إلى تحري الحقائق .

ومن الأسباب تفشي روح الاستبداد فينا وانتشار الأخلاق الذميمة المترتبة على مخالفة الشريعة الغراء بيننا - وهذان المانعان قد لا يكون من السهل إزالتها - ولكن رفع الاستبداد الفردي مرهون برفع الاستبداد الجماعي، كما أن فوران الحمية الإسلامية والوقوف على النتائج المخزية للأخلاق الذميمة كفيلا برفع هذا المانع، وقال: إن من الأسباب أيضا توهم وجود نوع من التناقض بين حقائق الإسلام وبين ما توصلت إليه العلوم الحديثة من نتائج.

وقد بدأت روح تحري الحقائق والإنصاف والمحبة الإنسانية تعمل على محاربة طوائف الأعداء - والفضل ما شهدت به الأعداء - ومن ذلك قول (بسمارك) الذي يعتبر من أشهر رجال الفكر في تاريخ أوروبا:

(لقد درست الكتب السماوية بدقة وشمول، ونظرا لتحريفها فإنني لم أجد فيها الحكمة الحقيقية التي تكفل سعادة البشرية بيد أنني وجدت قرآن محمد يعلو سائر الكتب). وهناك خمس قوى اجتمعت وامتزجت في قلب الشخصية المعنوية للعالم الإسلامي، وهذه القوى فيها من القوة ما يجعلها لا تغلب ولا تقهر:

القوة الأولى : الحقيقة الإسلامية التي تجعل المسلمين جميعا كنفس واحدة، وهي مجهزة بالتمدن الحقيقي والعلوم والفنون الصحيحة.

القوة الثانية: تكمن في الحاجة الملحة للتمدن والصناعات ووجود الفقر الذي كسر ظهورنا.

القوة الثالثة: تكمن في الحرية الشرعية المعلمة للبشرية طرق التسابق نحو المعالي الممزقة للاستبداد والمظالم.

القوة الرابعة: الشهامة الإيمانية المقترنة بالشفقة، وذلك يستلزم عدم المداينة أمام المستبدين وعدم التحكم في المساكين أو التكبر عليهم .

القوة الخامسة: تكمن في عزة الإسلام بإعلاء كلمة الله تعالى وذلك يستلزم التقدم المادي والتمدن الحقيقي وذلك يحقق الشخصية المعنوية للعالم الإسلامي.

وحضارة أوربا لم تنأسس على الفضيلة والهدى ولذلك تغلبت سيئات هذه الحضارة على حسناتها، وقد ثبت بالبحث والاستقراء وتجارب العلوم المتكررة أن الخير والجمال والكمال هو القلب المطلق في نظام الكائنات، وأن الشر والقبح والباطل في خلقة الكائنات جزئي وتبعي وثانوي، وأن أكرم المخلوقات وأشرفها هو الإنسان الذي يستطيع أن يكشف بعقله عن الأسباب الظاهرية في الكائنات ويعرف ما بين الأسباب والنتائج من توافق، وأن أشرف وأفضل أهل الحق الذين أكرمهم الله تعالى هم المسلمون، وأن محمدا ﷺ هو أشرف الخلائق .

اليأس:

واليأس داء قاتل وقد وجدت أسباب الحياة في قلب العالم الإسلامي، وإني لعظيم الأمل في رحمة الله تعالى، وفي أن العرب سيتخلون عن اليأس ويمدون يد العون والتأزر والوفاق الحقيقي إلى جيش الإسلام الباسل.

والصدق أساس من أسس الإسلام وواسطة العقد في سجاياه الدقيقة، فعلينا أن نحیی الصدق الذي هو حجر الزاوية في حياتنا الاجتماعية، ونداوي به أمراضنا الروحية.

والرياء نوع من الكذب العقلي، والمداينة كذب مرذول، والنفاق كذبة ضارة، والحبة أجدر الأمور بالحبة وأجدر الأشياء بالخصومة، وقد أثبتت الحربان العالميتان ما في روح العداوة من ظلم وتخريب وفساد، وإن غرور الإنسان وأنانيته قد يقودانه إلى اتخاذ موقف المعاداة تجاه إخوانه المؤمنين بدون شعور ويظن الإنسان نفسه محقا، والدرس الذي تعلمته من الشورى الشرعية هو أن سيئة الرجل الواحد منا في هذا الزمان لا تبقى سيئة واحدة وإنما تكبر وتتضاعف أحيانا حتى تصبح مائة سيئة، كما أن الحسنة تكبر وتتضاعف حتى تبلغ الآلاف أحيانا.

إن الحرية الشرعية والشورى المشروعة قد أثبتنا سيادة الأمة الإسلامية، ولقد كنتم أيها العرب أساتذة جميع الشعوب الإسلامية وأئمتها على مر العصور، أنتم الذين رفعتم

علم الجهاد عاليا خفاقا، ثم سار على دربكم الشعب التركي العظيم موقنا بتلك الوظيفة المقدسة، ومقتحما لما بدأتم، لذا فإن ذنبكم بالتكاسل كبير، كما أننا عرفناكم وحسناتكم جليلة وسامية بنفس الدرجة، وبخاصة ونحن نأمل أن تتحد الشعوب العربية، وحينئذ ينقدون السياسة الإسلامية المأثورة .

إن الأجانب كما استولوا على أموالنا وأوطاننا العزيزة نظير ثمن بخس فاسد، فإنهم كذلك سرقوا جزءا كبيرا مما هو مدار فخرنا واعتزازنا من سجاياتنا الحميدة وأخلاقنا السامية، وجعلوها منطلقا لرقبهم وتقدمهم، ودفعوا لنا نظير ذلك رذائل طباعهم وسفائه أخلاقهم.

إن مفتاح سعادة المجتمع الإسلامي والمسلمين بوجه عام (الشورى) ، ولقد أمرنا القرآن الكريم باتخاذ الشورى في جميع أمورنا، يقول الله تعالى ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ (الشورى: ٣٨) .

وإن الحرية الشرعية النابعة عن الإيمان تقوم على أساسين:

- ١- أن لا يذل المسلم ولا يتذلل لأنه عبد لله فلا يكون عبدا للعباد .
- ٢- أن لا يكون بعض الناس أربابا لبعضهم من دون الله .

من كليات رسائل النور

الآية الكبرى:

يرى الشيخ بديع الزمان النورسي أن ضياء القلب هو العلوم الدينية، وأن نور العقل هو العلوم الكونية الحديثة، وباندماجهما تتجلى الحقيقة، وبافتراقهما تتولد الشبهات في هذا والتعصب الذمير في ذاك .

وفي رسالة الآيه الكبرى شرح الشيخ بديع الزمان أصول العقيدة الإسلامية بأدلتها العقلية والعلمية، وقدم من خلالها مذهبية الإسلام الشاملة في الكون والحياة والمجتمع والإنسان بدقائقها ومقدماتها وبتأثيراتها، معالجا المشكلات الخطيرة التي أثرت في عصره أمام الإسلام، والتي نسجت خيوطها العنكبوتية الواهية دوائر الاستشراق ومراكز التبشير، مبينا إعجاز القرآن الكريم، وصدق النبوة، وحكمة التشريع، وإنسانية الإسلام، وعظمة مبادئه الروحية والأخلاقية.

ورسالة الآيه الكبرى تعرض الحقائق عن الذات الإلهية، والأسرار الربانية، وتجليات أسمائه الحسنى في الوجود، من خلال سياحة عقلية وروحية شاملة للتعرف على أسرار الكون، ودقائق الحياة، وتذوق جمال الوجود، ونظامه الرائع، وفائدته في مجموعة رائعة.

علم التوحيد في صورة جديدة: يبدأ الشيخ بديع الزمان رسالة الآيه الكبرى برسم خطوط منهج منطقي في غاية القوة والرصانة والوضوح، يمثل خطة هجومه الكاسح على أفكار الماديين، بتنفيذ موقفهم وتسفيه عقولهم وفساد منطقهم في نفى حقيقة الوجود الإلهي الحق من خلال قانون فطري واضح.

ويستقدم الشيخ في هدوء ذكي ليأخذ بيد طالب الحقيقة في جولة رائعة، كي يفتح له فيها مغاليق عقله وقلبه، ويوقفه أمام لوحة الوجود الأخاذ ومظاهرها البديعة وبادئا رحلته الكونية من عجائب الآفاق العلوية إلى مدهشات الكائنات السفلية سابرا غورها واصفا اتساقها ولوحاتها الفنية الرائعة، التي تأخذ بالألباب، وتضرب على أوتار القلوب، فتوقظ الغافل وتنير بصيرة الداهل، وكل ذلك بأسلوب خصب بعيد عن قيود المصطلحات

الكلامية، وجمود المقدمات الفلسفية، التي تريد في الحيرة دون أن تنقذ في عصرنا هذا عقيدة، أو تبني إيماناً، أو تدخل إشراق الروحانية الإسلامية المترنة في كيان المسلم. وبذلك استطاع أن يبعد علم الكلام من مجرد مناقشات وعرض أدلة بلغة جافة إلى شريان دقيق في كيان المسلم ينبض بالحركة والحياة، وحوله إلى تيار اجتماعي عارم في العقيدة والسلوك.

وبذلك استطاع علم التوحيد على يد النورسي أن يحدث تغييراً شاملاً في سلوك الأفراد والجماعات، وانقلب إلى قوانين حركة التغيير الفكري والاجتماعي وإلى الإيمان والأصالة واستقلال الذات في حياة المجتمع.

يقول الشيخ بديع الزمان موضحاً الذي يعين المسلم على فهم رسالته:
هذه الرسالة على عظم أهميتها لا يفهم كل شخص كل مسألة من مسائلها، لأن هناك خمسة أسباب تُعيق فهم هذه الرسالة :
أولها: أنني كتبت مشاهداتي لما تراءت لي وفق فهمي، كتبتها لنفسي، فهي لم تكتب بمستوى فهم الآخرين.

ثانيها: أن التوحيد الحقيقي كتب في صورته العظمى بفيض تجلي (الاسم الأعظم) ، فأصبحت مسائله واسعة جداً وعميقة جداً، لذلك فإن بعض الأشخاص لا يستطيع أن يحيط بها مباشرة لأول وهلة.

ثالثها: أن كل مسألة من مسائلها حقيقة كبرى طويلة /وحفاظاً على وحدة الحقيقة/ قد تصبح الصحيفة الواحدة جملة واحدة مطولة، فهناك مقدمات كثيرة تورده بمثابة دليل واحد.

رابعها: أن كل مسألة لها أدلتها الخاصة الكثيرة، فعند القيام بضم عشرين دليلاً أحياناً لسوقها برهاناً واحداً تكون المسألة طويلة لا تسعها المدارك القصيرة.

خامسها: لقد تعرضت لأنوار هذه الرسالة بفروضات رمضان المبارك، إلا أنها كتبت على عجلٍ لما كنت أعانيه من الأسقام ومتاعب المضايقات من مختلف الجهات، فلم أر من اللائق أن أسميها بشيء من التنظيم أو التهذيب حسب تفكيري، لذا أخذت

الرسالة هذا الشكل الذي يستشكل على الفهم، فضلا عما درجت فيها فقرات
المقام الأول الذي كتب باللغة العربية .

وظيفة الإنسان :

يقول الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦)

يفهم من الآية الجلية أن حكمة مجيء الإنسان إلى هذه الدنيا والغاية منه معرفة خالق
الكون سبحانه وتعالى، والإيمان به، والقيام بعبادته، كما أن وظيفته فطرية وفريضة ومنه
معرفة الله تعالى والإيمان والتصديق بوجوده وبوحدانيته إذعانا وبقينا.

إن الإنسان الذي ينشد فطرة الحياة الدائمة الخالدة، والعيش الأبدي الرغيد، والذي له
آمال بلا حدود، وآلام بلا نهاية، لا بد وأن تكون جميع الأشياء والكمالات هابطة تافهة
بالنسبة له، بل ليس لأكثرها قيمة تذكر، ماعدا الإيمان بالله تعالى ومعرفة، وما عدا
الوسائل التي تأخذ بيده إلى ذلك الإيمان الذي هو أساس تلك الحياة الأبدية، وانطلاقا من
هذه الحقيقة فلا قيمة ولا أهمية للكثرة الظاهرة للكفار والمنكرين الذين يصدون عن
الإيمان، ولا ينبغي أن يتأثر يقين المؤمن ولا يشوب إيمانه بأي نوع من أنواع الشك
والتردد، ومع ذلك فإننا نرى ما يثيره فلاسفة أوربا من شبهات وجحود في هذا العصر،
فدخلت الحيرة إلى بعض المنكوبين المفتونين بهم، فأزال يقينهم وأباد سعادتهم الأبدية،
وأوقعهم في شقاء ذلك، لأن إنكارهم هذا حول معنى الموت الذي يصيب يوميا ثلاثين
ألفاً من الناس، من معناه الحقيقي الذي هو إنهاء وظيفة الإنسان على الأرض إلى صورة
الإعدام الأبدي والفناء النهائي والنهاية المرعبة المخيفة، ألا ما أعظم الإيمان وما أعظم
نعمته - وأفهم كيف أنه (حياة للحياة) .

ثانيا: لا يؤخذ بكلام من هم خارج إطار علم أو صنعة في مسألة من مسائلهما
دارت حولها المناقشة، حتى ولو كانوا عظماء وعلماء وصناعا مهرة، ولا يدخلون ضمن
إجماع علماء ذلك الضرب من العلم .

إن ماهية الكفر الذي يظهر العداء للحقائق الإسلامية إنما هو إنكار وجهل، حتى لو بدت ظاهريا إثباتا ووجودا، إلا أن معناها عدم ونفي، أما الإيمان فهو علم ووجود وإقرار وإثبات وحكم.

والاعتقاد بالكفر قسمان:

أولهما: ما ليس له علاقة بالحقائق الإسلامية، فهو تصديق خطأ، واعتقاد باطل، وحكم ظالم خاص به، وهذا القسم خارج إطار بحثنا.

ثانيهما: ما يبرز الحقائق الإيمانية ويعارضها، وهو إما رفض وعدم قبول وليس هذا الكفر إلا جهلا، أو قبول للعدم وتصديق قلبي للعدم، فهذا القسم من الكفر هو حكم وهو اعتقاد يفضي بصاحبه إلى الالتزام فيضطر إلى إثبات نفيه وإنكاره.

ثم إن العقول التي ضاقت أمام العظمة والكبرياء، وقصرت عن إدراكها نتيجة الغفلة أو المعصية أو الانغماس في الماديات والانسياق وراءها، قد اتخذت هذه العقول توجه إلى الإنكار، وتتقي بغرور المسائل الهائلة العظمى لعجزها عن الإحاطة بها.

براهين الوجود:

يقول الله تعالى ﴿تَسْبَحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ خَلِیْمًا غَفُورًا﴾ (الإسراء: ٤٤) .

إن كثيرا من الآيات تذكر في تعريفها لخالق هذا الكون السماوات التي هي أسطح صحيفة للتوحيد، ما يتأمل فيها متأمل إلا وتغمره الحيرة ويغشاه الإعجاب، فيستمع بمطالعتها بكل ذوق ولذة، فالأولى أن يستهل بها، وإذا بوجه السماء المتلألئ بالنجوم النيرة يطل عليه مناديا (أنظر إلي فأننا أعرفك بالذي تبحث عنه) ، فينظر السائح ويرى أن ربوبيته ظاهرة تتجلى في رفعها مئات الألوف من الأجرام السماوية بلا عمد ولا سند، وفي إيقادها تلك القناديل المتدلية بدون زيت يغذيها وبدون انطفاء لها، والسحاب المعلق بين السماء والأرض يسقي روضة الأرض سقيا يتفجر حكمة ورحمة، وإلى الرياح والمطر والسبق والرعد، وهكذا يسمع ذلك السائح الولوع شهادة سامية جليلة لحقيقة مركبة من تسخير السحاب وتصريف الرياح وإنزال الغيث وتدبير الظواهر الجوية، فيقول (آمنت

بالله) ، وينظر السائح إلى البحار التي تتماوج بحوية وتتلاطم بشدة، وإلى جوف البحر الذي تعيش فيه آلاف الحيوانات المتنوعة وإدارتها وما فيها من منافع للناس، فيرى السائح أنها جميلة وأنها جميعا تردد (لا إله إلا الله) ، وينظر إلى الجبال والصحارى وعالم الأشجار فيرى

- حقيقة الإنعام والإكرام المقصودين التي يحس معناها في كل نبات وشجر.
 - حقيقة التميز والتصديق المقصودين بحكمة، والتزين والتصوير الإراديين برحمة.
 - حقيقة فتح صور المصنوعات غير المحدود فيقول (الحمد لله على نعمة الإيمان) .
- وينظر السائح إلى عالم الطيور والحيوانات يدعوه إلى الدخول إلى ذلك العالم الفسيح وترحب بمقدمه إلى عالمه، فدخله ورأى أن جميع الطيور والحيوانات بأنواعها تذكر منفعة لا إله إلا هو بلسان حالها ولسان مقالها، حتى كأن سطح الأرض مجلس ذكر مهيب، ومجمع قهليل عظيم، فيشاهد السائح ثلاث حقائق تدل على أن الحيوانات والطيور تؤدي شكرها تجاه خالقها ورازقها وتشيد وتشهد على وحدانيته، ويدخل السائح عالم الإنسان فيرى أن جميع الأنبياء يرددون لا إله إلا الله، وهم جميعا يدعون إلى التوحيد الخالص وإلى الإيمان بالله تعالى لإخراج البشرية من مرتبة الحيوانية ورفعها إلى درجة الملك، وذلك ركن من أركان الإيمان.

ويرى السائح العلماء والمحققين والمجتهدين المتبحرين يثبتون بتدقيقاتهم العميقة المسائل الإيمانية المثبتة وفي مقدمتها وجود الخالق سبحانه وتعالى ووحدانيته، فيحس بقوة معنوية هائلة تنصب في كيانه وعملاً جوارحه.

ويطرق السائح عالم الغيب فيرى أن شهادة الوحي والإلهام أقوى بكثير من شهادة الكائنات والمخلوقات، ويفهم أن حقيقة الوحي تفيد في:

- أن التكلم وفق مفاهيم البشر وبمستوى عقليتهم هو الذي يطلق عليه (التنزيلات الإلهية إلى عقول البشر) .

- وأن الذي برأ الوجود معجزة ويملؤه بمعجزاته الباهرة لتفصح عنه وجعلها السنة ناطقة بكلماته، لا بد وأنه سَيَعْرِفُ ذاته أيضا بكلامه هو، وأن مقابلة مناجاة الناس الحقيقية وشكرهم بكلامه سبحانه وتعالى من شأن الخلافة.

- وأن صفة المكاملة التي هي ضرورة لازمة وظاهرة مضيئة لصفتي العلم والحياة لا بد وأنها توجد بصورة محيطية وبسرمدية خالدة عند من له علم محيط وسرمدية وحياة سرمدية.

- وأن الذي فطر مخلوقاته على العجز والشوق والفقر والحاجة والقلق من العاقبة ومنحهم المحبة والعبودية، من مقتضى ألوهيته سبحانه وتعالى أن يشعرهم بوجوده بتكلمه سبحانه.

وهكذا فهم السائح أن الدلائل التي تدل بالإجماع على وجود واجب الوجود ووحدانيته سبحانه في الوحي السماوي العام المتضمن لحقائق التنزيل الإلهي هي أقوى من شهادة الشمس على نفسها في رابعة النهار.

ثم ينظر السائح إلى الإلهامات الصادقة /مع أنها تتشابه من جهة الوحي/ من حيث أنها نوع من المكالمات الربانية إلى أن هناك فرقين:

الأول: أن معظم الوحي الذي هو أسمى وأعلى من الإلهام إنما يتم بواسطة الملائكة بينما الإلهام يتم دون وساطة.

الثاني: أن الوحي صاف ودون ظل وخاص للخواص، أما الإلهام ففيه ظل واختلاط وألوان، وهو عام وله أشكال متنوعة ومتفاوتة جدا كإلهامات الملائكة، وإلهامات الإنسان، وإلهامات الحيوان.

ثم يخاطب ذلك السائح في الدنيا عقله قائلا (مادمت أبحث عن مالكي وخالقي باستنطاق موجودات هذا الكون، فمن الأولى أن أزور من هو أكمل إنسان في الوجود وأعظم من يقود إلى الخير ألا وهو محمد ﷺ ، الذي أضاء العالم بفضله وبقراءته أربعة عشر قرنا من الزمان /وينبغي أن نذهب إلى عصر النبوة/ فدخل بعقله إلى ذلك العصر فرأى:

أن ذلك العصر قد صار به ﷺ عصر سعادة للبشرية حقا، لأنه قد حول /في زمن يسير/ بالنور الذي أتى به قويا قوما غارقين في أشد أمية وأعرق بدادة، حولهم إلى أساتذة

العالم وسادته، وقد رأى أنه ﷺ متصف بجميع السجاي الفاضلة والخصال الحميدة حتى شهد له غرماؤه، وأن القرآن الذي بيده ﷺ معجز من أربعين وجهاً، وأنه ﷺ قد بُعث بشريعة مطهرة، وبدن فطري، وعبودية خالصة، وبدعاء خاشع، وبدعوة شاملة، وبإيمان راسخ لا مثيل لما بعث به، ولن يكون وما وجد أكمل منه ولن يوجد.

ثم إن إجماع الأنبياء عليهم السلام واتفاقهم على الحقائق الإيمانية نفسها دليل قاطع على وجود الله سبحانه وتعالى وعلى وحدانيته، وشهادة صادقة على صدق هذا النبي ورسالته، وأن وصول آلاف الأولياء إلى الحق والحقيقة وما نالوا من الكمالات والكرامات، وما فازوا به من الكشفيات والمشاهدات، ليس إلا اقتداء بهُدى دساتير هذا النبي وتربيته أتباعه وتعقب أثره، وأن ملايين العلماء الموفقين الأصفياء والمحققين الصديقين ودهاة الحكماء المؤمنين- ممن بلغوا أعلى المراتب- بفضل ما درسوا وتعلموا على ما جاء به هذا النبي الكريم، مثلما يشهدون بالوحدانية يشهدون على صدق هذا المعلم الأكبر.

وأن هذا الكون كما أنه يدل على صانعه ومصوره الذي أوجده والذي يدبره ويرتبه ويتصرف فيه بالتصوير والتقدير والتدبير، هو كذلك يستدعي وجود من يعبر عما في هذا الكتاب الكثير من المعاني، ويعلم المقاصد الإلهية من وراء خلق الكون، أي بمقتضى يقتضي داعياً عظيماً، ومنادياً صادقاً، وأستاذاً محققاً، ومعلماً بارعاً، فأدرك السائح صدق هذا المعنى، وهي شهادة عامة وكلية راسخة لا تتزعزع ولن تستطيع أن تجابهها كافة في أي جهة ولو اجتمعوا لها.

إعجاز القرآن:

القرآن الكريم معجزة النبي محمد، ومحمد ﷺ بكل معجزاته ودلائل نبوته وكمالاته العلمية معجزة أيضاً للقرآن الكريم، وحجة ناطقة على أنه كلام رب العالمين، وقد بدل الحياة الاجتماعية تبديلاً هائلاً، وأحدث انقلاباً عظيماً في نفوس البشر، وفي قلوبهم، وفي أرواحهم، وفي عقولهم، وفي حياتهم الشخصية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية، بحيث أن آياته البالغة تتلى من أربعة عشر قرناً، في كل آن، باللسنة أكثر من

مليار شخص بكل إجلال واحترام، فيربي الناس، ويزكي نفوسهم، ويصفي قلوبهم، ويمنح الأرواح انكشافا ورقيا، والعقول استقامة، والحياة سعادة، فهو معجزة خارقة.

والقرآن الكريم: قد أظهر عذوبة وحلاوة ذات أصالة وحقيقة، بحيث أن التكرار الكثير لا يورث الملل بل يزيد تكرار تلاوته من عذوبته وحلاوته، والقرآن الكريم قد بسط أحد جناحيه نحو الماضي والآخر نحو المستقبل، وبلاغة الكلام وعلوه تتضح في بيان من قاله ؟ ولمن قاله ؟ ولم قاله ؟

وقد أثبت القرآن الكريم المعجزة في كل ناحية من نواحيه شهادة ثابتة بالدلائل على وجود واجب الوجود، وعلى وحدانيته، وعلى حقائقه، وعلى أسمائه الحسنی.

وكل ما في الكون يفيد وجود ووحدانية خالق صانع ليس كمثل شيء وهو السميع البصير، يعمل بقدرة لا حد لها، وبحكمة لا نهاية لها، وثبت شهادة الكون حقيقتان عظيمتان واسعتان تتناسبان مع سنة الكون وعظمته :

الأولى : حقيقة الحدوث والإمكان.

الثانية : حقيقة التعاون.

براهين التوحيد:

هناك أربع حقائق قدسية تستحوذ على الكائنات، وتستلزم التوحيد بدرجة البدهة:

الأولى : الألوهية المطلقة، وقد أفاض القرآن الكريم في رفض الشرك بشدة، وهدد المشركين بعذاب جهنم.

الثانية : الربوبية المطلقة، التي لا تقبل الشرك ولا المشاركة، وإرشادات القرآن الكريم المستمرة إلى التوحيد نابعة من هذا السر الأعظم.

الثالثة : الكمالات، جميع الكائنات وما فيها من حكم سامية، ومن جمال خارق، ومن قوانين عادلة، ومن غايات حكيمة، إنما تدل - بالبدهة - على وجود حقيقة

الكمالات، والشرك الذي يحول دون ذلك لا يمكن أن يكون موجودا في الكون.

الرابعة : الحاكمية المطلقة، فمادامت الحاكمية المطلقة ثابتة لله وحده فإن الشرك لا حقيقة له، والحاكمية هي مقام للعزة والتوحيد الحقيقي إنما هو حكم وتصديق وإذعان

وقبول كل ما يُمكن المرء أن يهتدي إلى ربه من خلال كل شيء، ويمكنه أن يرى في كل شيء السبيل المنير الذي يوصله إلى خالقه الكريم، فلا يمنعه شيء قط عن سكونة قلبه واطمئنانه واستحضاره مراقبة ربه.

وهناك حقائق محيطة تستحوذ على الكائنات وتثبت التوحيد وتستلزمه بالبداهة.

الأولى: حقيقة العظمة والكبرياء، وهي لا تسمح بأي نوع من أنواع الشرك، فهو تحد لتلك الكبرياء، وتناول على عزة الله تعالى.

الثانية: ظهور الأفعال الربانية ظهوراً مطلقاً، ومن ذلك النمل والأنعام وثمرات النخيل والأعنان، والذي يقوم بهذا الفعل إن هو إلا خالق جميع الكائنات.

الثالثة: حقيقة الإيجاد والإبداع، أي إيجاد الموجودات بكثرة مطلقة في سرعة مطلقة مع انتظام مطلق، وخلق المخلوقات بسهولة مطلقة مع انتظام مطلق، وخلق المخلوقات بسهولة مطلقة في غاية الحسن والجمال مع المهارة المتقنة والانتظام الكامل، وإبداع المصنوعات في غاية النفاسة والجودة والتميز الواضح بين منتهى الوفرة وغاية الاختلاط والامتزاج.

الرابعة: كلية الموجودات وظهورها معاً، إن وجود الموجودات وظهورها معاً متداخلة متشابهة بعضها مع بعض، والعلاقة الوثيقة في نفس الصنعة، والإتقان والتعاون فيما بينها، وإكمال كل منها وظيفة الآخر الفطرية، تعلن التوحيد بداهة، وتثبت أن صانعها واحد أحد، ويظهر /من جهة الربوبية المهيمنة/ أن الكائنات قاطبة لا تقبل التجزئة والانقسام فهي بحكم الكل والكلية.

الخامسة: الانتظام الأكمل ووحدة المواد، أي وجود الانتظام الأكمل في مجموع الكون وأركانه وأجزائه، بل في كل موجود فيه المواد واحدة والماهية واحدة في كل مكان على الرغم من تداخل بعضه في بعضه الآخر، كل ذلك يدل على أن صانع هذا الكون ومدبره واحد أحد، فرد صمد، ليس كمثله شيء، منزه عن العجز، متعال عن القصور:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

وهناك أربع حقائق تكشف التوحيد وتبينه كالشمس الساطعة:

الأولى: حقيقة الفتاحية، أي افتتاح ما لا يجد من الصور المنتظمة المتنوعة المختلفة بتجلي اسم الفتاح من مادة بسيطة، وانكشافها في كل طرف من أطراف العالم في آن واحد وبفعل واحد.

الثانية: حقيقة الرحمانية، وهي تعني أن هناك واحدا جعل لنا الأرض مضيئا رائعا، وفرش لنا بتلك الرحمة مأدبة تحتوى الآلاف من مختلف الأطعمة، وفرش لنا بتلك الرحمة مأدبة المعدة على تلك المائدة، ووهبنا معدة تهضم الأطعمة بعد التلذذ بها، وشمول الرحمة ووصولها إلى كل فرد في كل مكان وفي كل آن تظهر بدهاء الوحدة وترى الأحدية في تلك الوحدة.

الثالثة: حقيقة التدبير والإرادة، أي حقيقة إدارة الأجرام السماوية وهي في منتهى السرعة والضخامة، وإدارة العناصر والمخلوقات الأرضية إدارة بكامل الانتظام والموازنة.

الرابعة: حقيقة الرحيمية والرازقية، أي حقيقة إعطاء الرزق إلى جميع ذوي الحياة وبخاصة العاجزين والضعفاء والأطفال، وإعطائهم أرزاقهم المادية والمعنوية بكل شفقة ورأفة.

والرزق الحلال يأتي متناسبا مع الضعف والعجز اللذين يمنحان التوكل وهو نوعان:

الأول: الزرق الحقيقي والفطري للمعيشة، وهو مُقدَّر إلى حد أن المدخر منه في الجسم يمكنه أن يعيش الإنسان ويلبم حياته أكثر من عشرين يوما.

الثاني: الرزق المجازي، الذي يكون بعد أن يدمن الإنسان عليه بالتعود والإسراف وسوء الاستعمال، والسعيد في الرزق الثاني هو من يعلم أن السعي الحلال بالاقتصاد والقناعة هو نوع من العبادة، والشقي التعس هو من يتخلى عن السعي الحلال بالإسراف والحرص فيقضي حياته بالكسل والتظلم والتشكي.

الإيمان وتكامل الإنسان:

هذه الرسالة فيها تفسير لمعاني بعض الآيات القرآنية، فالإيمان نور يضيء جنبات الحياة، ونعمة كبرى توصل الإنسان إلى ربه، وتربطه بربه الجليل، والكفر ظلمة ما بعدها ظلمة تردّي الإنسان وتسقطه من مرتبة الإنسانية إلى أدنى مراتبه الحيوانية فتلقى به إلى أسفل سافلين.

وقد حاول الشيخ بديع الزمان أن يبين في هذه الرسالة خمس فوائد للإيمان فقال : يقول الله تعالى ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ (سورة التين: ٤-٦).

وقد بيّن الشيخ بديع الزمان في هذه الرسالة خمس فوائد من محاسن الإيمان:
الأولى: أن الإنسان يسمو بنور الإيمان إلى أعلى عليين فيكسب بذلك قيمة تجعله لائقاً بالجنة، بينما بظلمة الكفر ينزل إلى أسفل سافلين فيكون في وضع يؤهله لنار جهنم، لأن الإيمان يربط الإنسان بصانعه الجليل ويربطه بوثاق شديد، أما الكفر فيقطع تلك النسبة وتغشى ظلمته الصنعة الربانية فتتقص قيمة الإنسان حيث تنحصر في مادته.

والإنسان هو الصنعة الخارقة للخالق الصانع سبحانه وتعالى، فإذا استقر نور الإيمان في هذا الإنسان تحول إلى مرتبة أسمى المخلوقات قاطبة حيث يصبح أهلاً للخطاب الإلهي يسأل شرفاً يؤهله للضيافة الربانية في الجنة، أما الكفر فإنه يهدم الماهية الإنسانية ويحيلها من جوهرة نفيسة إلى فحمة خسيصة.

الثانية: كما أن الإيمان نور يضيء الإنسان بنوره ويظهر بارزاً جميع المكونات الصمدية، كذلك فهو ينير الكائنات أيضاً وينقذ القرون الخالية والآتية من الظلمات الدامسة، فإذا وجد الإيمان إلى قلب الإنسان سبيلاً، وانكسرت فرعونية النفس، وأصغى إلى كتاب الله تعالى، فإنه يمتلئ بالنور الإلهي، ويرى الموت مقدمة لحياة أبدية، ويرى القبر باب سعادة خالدة.

الثالثة: الإيمان قوة أيضاً، والإنسان الذي يظفر بالإيمان الحقيقي يستطيع أن يتحدى الكائنات ويتخلص من آثار الحوادث، مستندا إلى قوة إيمانه، فيبحر متفرجا على سفينة الحياة في خضم أمواج الأحداث العاتية بكمال الإيمان والسلام قائلا: (توكلت على الله) ، ويسلم أعباءه الثقيلة أمانة في يد القدرة للتقدير المطلق، ويقطع بذلك سبل الدنيا مطمئن البال في سهولة ويسر حتى يصل إلى البرزخ ويستريح ثم يرتفع طائرا إلى الجنة للدخول في السعادة الأبدية.

أما إذا ترك التوكل على الله فإن هذه الأثقال ستجذبه إلى أسفل سافلين. فالإيمان يقتضي التوحيد، والتوحيد يعود إلى التسليم، والتسليم يحقق التوكل، والتوكل يسهل الطريق إلى سعادة الدارين.

معنى التوكل:

التوكل عبارة عن العلم بأن الأسباب هي حجب بيد القدرة الإلهية ينبغي رعايتها ومدارقتها وطلب المسببات، وترقب النتائج لا يكون إلا من الحق سبحانه وتعالى وأن كل شيء لا يرجع إلا لله وحده.

الرابعة: أن الإيمان يجعل الإنسان إنسانا حقا، بل يجعله سلطانا، لذا كانت وظيفته الأساسية الإيمان بالله تعالى والدعاء إليه، بينما الكفر يجعل الإنسان حيوانا مفترسا في غاية العجز، ووظيفة الإنسان الفطرية التكمّل بالعلم والترقي عن طريق كسب العلم والمعرفة والعبودية بالدعاء، فوظيفته الأساسية التحليق والارتفاع بجناحي العجز والفقر إلى مقام العبودية السامي.

الخامسة: الإيمان يقتضي الدعاء ويتخذ وسيلة قاطعة ووساطة بين المؤمن وخالقه، كما أن الفطرة الإنسانية تلهف بشدة وشوق فالله سبحانه وتعالى يدعو الإنسان إلى الأمر نفسه، يقول الله تعالى ﴿ قُلْ مَا يَعْْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾ (الفرقان: ٧٧). والعبودية: لا بد وأن تكون خالصة لوجه الله تعالى، بأن يأوي الإنسان إلى ربه بالدعاء مظهرا عجزه، مع عدم التدخل في إجراءات ربوبيته، أو الاعتراض عليها،

وتسليم الأمر كله والتدبير إليه وحده، مع الاعتماد عليه، والاطمئنان إلى حكمته،
دون اتهام لرحمته ولا القنوط منها .

والدعاء نوعان : دعاء فعلي، ودعاء قلبي:

والإنسان لكونه مخلوقا في أحسن تقويم موهوبا بآتسم استعداد جامع، فإنه يتمكن
من أن يدخل في ميدان الامتحان، هذا الذي ابتلي به ضمن ثقافات ومراتب ودرجات
ودركات مصفوفة ابتداء من سجل إلى رياض أعلى عليين.

وفي الإنسان جهتان :

جهة الإيجاد والوجود والخير والإيجابية والعقل، وجهة التخريب والعدم والشر
والسلبية والانفصال.

والنفس الأمانة بالسوء بإمكانها اقتراف جنايات لانهاية لها من جهة الشر والتخريب،
أما في الخير والإيجاد فإن طاقتها محدودة وجزئية.

وفي الإنسان جهة الأنانية المقصورة على الحياة الدنيا، وجهة العبودية الممتدة إلى الحياة
الأبدية.

والسمو والترقي الحقيقي إنما يكون بتوجيه القلب والروح والعقل إلى الحياة الأبدية
الباقية، واشتغال كل منها بما يخصها ويناسبها من وظائف العبودية، وإخضاع اللطائف
السامية لأوامر النفس والهوى وطمس وظائفها الأصلية يعتبر سقوطا وانحطاطا لا ترقيا
وصعودا.

ثم إن الإنسان من جهة العمل وعلى أساس السعي المادي حيوان ضعيف ومخلوق
عاجز ، فإذا استند إلى أنانيته وغروره وانحدر واتخذ الحياة الدنيا غاية آماله فسوف يغرق
في دائرة ضيقة ويذهب سعيه أدراج الرياح ، أما إذا أدرك أنه ضعيف عزيز وتحرك ضمن
دائرة مرضاة الله الكريم فإنه سيعيش سالما آمنا مطمئنا ، وبإمكانه الصعود والرقى إلى أعلى
عليين .

والإنسان في هذا الكون أشبه ما يكون بالطفل الضعيف المحبوب، يحمل في ضعفه قوة
كبيرة وفي عجزه قدرة عظيمة، فبقوة ذلك الضعف سخرت له كل الموجودات وانقادت،

فإذا ما أدراك الإنسان ضعفه ودعا ربه قولاً وعملاً وأدى الشكر والثناء على ذلك التسخير فإنه يوفق إلى مطلبه، وتحقق مأربه إليه طائعة منقادة.

أما إذا ألقى السمع إلى النفس الأمارة والشيطان فإنه سيسقط إلى أسفل سافلين، لأن الإنسان أرسل إلى الدنيا ضعيفاً وموظفاً ووهبت له مواهب واستعدادات مهمة جداً وأسندت إليه وظائف جليلة، وقد رغب ورهب لإنجاز عمله.

إن الإنسان له عبودية وتفكير بصورة غيائية، وعبودية ومناجاة بصورة مخاطبة حاضرة.

أما الأولى: فتصديقه بالطاعة لسلطان الربوبية، واستنباط العبرة والدروس، والتفكير بإعجاب في مخلوقات الله تعالى .

والثانية: بناء الحضور والخطاب الذي ينقذ من الأثر إلى المؤثر، فيرى أن الله الجليل قد جعل الأرض معرضاً لعرض جميع الصنائع الغريبة فيقابل ذلك بالاستحسان فيقول: (سبحان الله والله أكبر وبارك الله) وينصب التوحيد في آفاق العالم معلناً ربوبيته، فيقابله هو بالتصديق والإيمان والتوحيد والإذعان والشهادة والعبودية.

"أنا" ذات الإنسان وحركات الذرات بين الفلسفة والدين:

الإمام النورسي فطن إلى أن الأمانة هي وحدها التي أهلت الإنسان لأن يقوم خليفة لله في الأرض، لأنها قد مكنته من أن يتصرف في كل ما استخلفه الله تعالى فيه تصرف المطاع، وفتحت له مغاليق الكون وأسرار الوجود، وإذا عرف الإنسان أن تلك الأمانة في أصل علاقته بالله تعالى وأقر بذلك إقراراً اختيارياً، أقام عزيزاً مكرماً في مقام العبودية، فيدخل ضمن بشارة قوله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ (الشمس: ٩) ، لأنه يكون عندها قد أدى الأمانة حقها فيرى بمنظار (أنا) حدود دوره ووظيفته في هذه الحياة.

ويرى الإمام النورسي أن لحركة (أنا) وجهتين :

الأولى: وجهة يتطلع فيها إلى حقائق النبوة، والثانية: وجهة يتطلع فيها إلى حقائق الفلسفة، ومقصوده بالوجهة هنا حركة النفس نحو التكميل بالعلم والمعرفة، فإذا تطلع أنا

إلى حقائق النبوة فإنه يعرف أنه موجود بغيره، وأن غاية وجوده طاعة الله تعالى والانقياد لأوامره .

أما إذا تطلع (أنسا) إلى حقائق الفلسفة فإنه يعرف أنه أصل في الوجود وأنه لا غاية لوجوده ولا وظيفة إلا التي يتوهمها، فهي حركة اختيارية بها ينتسب الإنسان إلى الله تعالى، وهذه النسبة تحدث ألفة وانسجاماً بين الله تعالى المؤمن وبين الإنسان المؤمن، وعبوديتنا لله تعالى لا بد وأن تكون غاية في الذل، غاية في الحب، وغاية في التعظيم لله، حتى ترتفع العبودية إلى مرتبة عالية وسامية في الأداء، بحيث تأتي على الدوام مصحوبة لمعانٍ فيها التعبير الحقيقي عن أنانية الإنسان.

وهذه الرسالة حوت الأمانة، وغاية حرمة الإنسان، والوحدة الموضوعية بينهما وحدة تشتمل على معانٍ دقيقة.

فالأمانة تعني المعنى الذي به قوام الإنسان والذي يعطيه كل ما له من شرف ومن أهمية، وقد وصف الله تعالى الإنسان بأنه (ظلوم وجهول) لتكتمل بهذه الأمانة معنى الإنسان الغائب والخليفة عن الله في أرضه.

والأمانة مكنت الإنسان من أن يتصرف في كل ما استخلفه الله تعالى منه تصرف الملك المطاع.

والذرات لها نسبة استنادية لله تعالى جعلت حركتها ووظائفها لا تنفك عن قدرة الله وإرادته وحكمته، ومن ثم كانت حركتها موصولة دوماً بالله تعالى، وفي النسبة الاستنادية للذرات عبودية لله تعالى، وهي عبودية انبثقت من شهادة لله تعالى بالوجود والوحدانية، فللذرات عبودية والعبودية هي غاية حركتها، وغاية حركة الإنسان تعني أن تكون عبوديتنا في معناها الواسع تفصيلاً لو أمعنا النظر فيه لتبين لنا أن تكون عبوديتنا لله غاية في الذل غاية في الحب غاية في التعظيم لله تعالى، حتى ترتفع العبودية من مرتبة الأداء الحركي العادي للجوارح إلى مرتبة عالية وسامية في الأداء، بحيث تأتي على الدوام مصحوبة بمعانٍ فيها التعبير الحقيقي عن أنانية الإنسان.

ومن هنا يقول الإمام النورسي (أنسا) مفتاح يفتح مغاليق الكون، والله سبحانه وتعالى أودع من جهة الأمانة في الإنسان مفتاحاً يفتح به كل أبواب العالم، وقد وضع بيد الإنسان أمانة هي (أنسا) فتكون أنا وحدة مناسبة تعرف منها أوصاف الربوبية وشؤون الألوهية.

و(أنسا) يدل على معنى في غيره وهو خيط رفيع من نسيج ثوب ماهية البشر، وهو حرف (الألف) في كتاب شخصية بنى آدم، وذلك الحرف له وجهان: وجه متوجه إلى الخير والوجود، ووجه متوجه إلى الشر.

وحيثما يؤدي (أنسا) وظيفته على الصورة السليمة فإنه يتوجه ويفوض الملك لله وحده قائلاً: (له الملك وله الحمد وله الحكم وإليه ترجعون) ، فيلبس لباس عبوديته الحقبة ويرتقي إلى مقام أحسن تقويم، (قد أفلح من زكاها) ، ولكن إذا نسي (أنسا) حكمة خلقه، وترك وظيفته الفطرية معتقداً بنفسه أنه المالك، فقد خان الأمانة ودخل ضمن النذير الإلهي، (وقد خاب من دساها).

وفي تاريخ البشرية تياران عظيمان:

١ - سلسلة النبوة والدين. ٢ - سلسلة الفلسفة والحكمة.

إن النبوة تمضي آخذة وجهاً لأننا، والفلسفة تقبل آخذة الوجه الآخر لأننا.

فالوجه الأول يعرف بأنه عبد لله ومطيع لعبوده، ووظيفته القيام بطاعة مولاه طاعة شعورية كاملة، لكونه ميزاناً لمعرفة صفات خالقه، ومقياساً للتعرف على شؤونه سبحانه.

وأما الوجه الثاني فقد اتخذ الفلسفة، وتزعم أن الإنسان مالك حقيقي في دائرة تصرفه، وتفهم أن وظيفته هي الرقي والتكامل الذاتي الناشئ من حب ذاته، ومن القواعد المقررة للنبوة في حياة الإنسان الشخصية التخلق بأخلاق الله تعالى.

وفي حياته الاجتماعية، أن التعاون دستور مهيم على الكون، وأن الواحد لا يصدر إلا عن الواحد، وأن لكل شيء حكماً كثيرة ومنافع شتى، ومن نتائج الأسس الفاسدة لأننا أن تعثرها الغفلة والإنكار فتتجمد تلك الأنانية، ثم بالعصيان لأوامر الله تعالى

ويشرع للناس، وحتى الأسباب على نفسه يمنحها فرعونية طاغية وكأنه يتحدى الله تعالى،
مثل قوله ﴿مَنْ يُخَيِّ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (يس: ٧٨).

فأننا في العالم الصغير كالإنسان، وكالطبيعة في العالم الكبير، كلاهما من الطواغيت
﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾
(البقرة: ٢٥٦).

ولذلك فإننا نلاحظ أن هناك طريقين:

الأول : هو طريق الضالين المشار إليه بقوله ﴿ولا الضالين﴾ ، وهو مسلك الذين زلوا إلى
مفهوم الطبيعة وتبنوا أفكار الطبيعيين.

الثاني : المشار إليه في قوله تعالى ﴿غير المغضوب عليهم﴾ ، فهو مسلك عبدة الأسباب،
والذين يجعلون الخلق والإيجاد إلى الوسائط ويسندون إليها التأثير، ويريدون بلوغ
حقيقة الحقائق، ومعرفة الله عز وجل عن طريق العقل والفكر وحده كالحكماء
المشائين.

والطريق الثالث: المشار إليه في قوله ﴿أنعمت عليهم﴾ ، فهو الصراط المستقيم
والجادة النورانية لأهل القرآن، وهو أقصر الطرق وأسلمه وأيسره، ومفتوح أمام الناس
كافة ليسلكوه، وهو مسلك سماوي رحماني نوراني.

ونلاحظ أنه في حركة كل ذرة وفي سكونها يلمع نوران للتوحيد كأنهما شمسان
ساطعان، بينما يرى الماديون أن تحولات الذرة مربوطة بالمصادفة.

والله سبحانه وتعالى يحرك الذرات ويسخرها جاعلاً من كل روح واحدة (نموذجاً)
لتحديد تجليات الإيجاد في الوجود، ومالك الملك قد خلق الدنيا ليزرع فيها معجزات
قدرته غير المتناهية ويحصدها، ويحرك الذرات بحكمة تامة، ويسخرها في وظائف منظمة
لأجل إظهار بدائع الموجودات، وفي ذلك إظهار لكمالات إلهية لا نهاية لها.

فالخالق الحكيم قد عيّن لكل شيء نقطة كمال تناسب ذلك الشيء، يحدد نور وجود
يليق به، فيسوق ذلك الشيء إلى نقطة الكمال تلك باستعداد يمنحه إياه.

فهذا القانون للربوبية مثل ما هو جارٍ في جميع النباتات والحيوانات جارٍ أيضاً في الجمادات، حتى يمنح الله سبحانه وتعالى التراب العادي رُقياً يبلغ به درجة الألماس ومرتبة الأحجار الكريمة.

والخالق الحكيم لا يسرف في شيء قط، ولا يعمل عبثاً قط، وكل شيء يقول بسم الله الذي افتتح معرضاً هائلاً يعرض مصنوعاته الدقيقة كي يلفت أنظار رعيته إلى أمة سلطته وعظمة ثروته ليشاهد جماله وكمال المصنوعين على وجهين:

الأول: أن يرى بالذات معروضاته بنظرة البصير الثاقب الدقيق.

الثاني: أن يراها بنظرة غيره.

غايات الحياة:

يلخص الشيخ بدیع الزمان غاية الحياة بتسعة أمور:

- ١- القيام بالشكر الكلي، ووزن النعم المدخرة في خزائن الرحمة الإلهية بموازين الحواس المغروسة في الجسم.
- ٢- فتح الكنوز المخفية للأسماء الإلهية الحسنى بمفاتيح الأجهزة المودعة في الفطرة، ومعرفة الله جل وعلا بتلك الأسماء.
- ٣- إعلان ما ركبت فيك الأسماء الحسنى من لطائف تجلياتها وبدائع صنعها، وإظهار تلك الطرائف البديعة أمام أنظار المخلوقات بعلم وشعور.
- ٤- إظهار العبودية (أننا) عظمة ربوبية الخالق بلسان الحال والمقال.
- ٥- التجمل بمزايا اللطائف الإنسانية التي وهبتها تجليات الأسماء، وإبرازها أمام نظر الشاهد الأزلي جل وعلا.
- ٦- شهود مظاهر الحياة لذوي الحياة شهود علم وبصيرة، ورؤية تفكر وعبرة، وعرض عبادتها إلى واهب الحياة.
- ٧- معرفة الصفات المطلقة للخالق وشؤونها الحكيمة، ووزنها بما وهب للحياة من علم جزئي وقدرة جزئية وإرادة جزئية.

٨- فهم الأقوال الصادرة من كل موجود في العالم، وإدراك كلماته المعنوية فيما يخص وحدانية الخالق وربوبية المبدع.

٩- إدراك درجات القدرة الإلهية بموازين العجز والضعف والفقر والحاجة المنطوية في النفس، وفهم درجات القدرة الإلهية بعجز الإنسان وفقره غير المتناهين. والقرآن الكريم (المقروء) هو أعظم تفسير وأبلغ ترجمان وأعلاه لهذا الكون البديع الذي هو قرآن آخر غير عظيم (منظور) .

وتلميذ القرآن المخلص هو عبد عزيز لا يستذل لشيء حتى لأعظم مخلوق، متواضع حين لا يتذلل بإرادته لغير فطره الجليل ولغير أمره وإذنه بقدر ضعيف، ولكنه مستغني عن كل شيء بما ادخره له مالكة الكريم من خزائن لا تعد في الآخرة، وهو قوي لاستناده إلى قوة سيده المطلقة ولا يعمل إلا لوجه الله ..

بينما تلميذ الفلسفة الفرعونية ذليل، إذ أنه يعبد أحسن شيء من أجل منفعته، ويتخذ كل ما ينفعه رباً له، وهو جاحد متمرد عنيد، ولكنه يرضى لنفسه منتهى الذل في سبيل الحصول على لذة، وهو عنيد دنيء يتذلل ويخضع لأشخاص هم كالشياطين بل لتقبل أقدامهم، ثم هو مغرور جبار نفعي مصلحي غايته تلبية رغبات النفس والبطن والفرج، وهو دساس مكار.

وحكمة الفلسفة ترى القوة نقطة الاستناد في الحياة الاجتماعية، وتهدف المنفعة في كل شيء، وتتخذ الجبال دستور الحياة، وتلتزم بالعنصرية والقومية السلبية رابطة للجماعات، وثمراتها إشباع رغبات الأهواء والميول النفسية التي من شأنها تزويد جموح النفس وإثارة الهوى، ومن هنا نلمس سلبية سعادة البشرية من جراء اللهاث وراء هذه الحكمة.

أما حكمة القرآن الكريم فهي تقبل الحق نقطة استناد في الحياة الاجتماعية بدلاً من القوة، وتجعل رضا الله تعالى ونيل الفضائل هو الغاية بدلاً من المنفعة، وتتخذ دستور التعاون أساساً في الحياة بدلاً من دستور الجدال، وتلتزم برابطة الدين والوطن لربط فئات الجماعات - بدلاً من العنصرية والقومية السلبية - وتجعل غايتها الحد من تجاوز النفس

الأمانة، ودفع الروح إلى معالي الأمور، وتطمئن مشاعرها السامية لسوق الإنسان نحو الكمال.

مرشد أخوات الآخرة:

لاحظ الشيخ بديع الزمان اهتمام النساء برسائل النور اهتماماً كبيراً، وحين ذهب إلى مدرسة الزهراء المعنوية في مدينة إسبرطة سمع أن الأخوات ينتظرون منه أن يلقي عليهن درساً كما كان يحدث قبل ذلك، لكنه كان يعاني من ضعف وإرهاق لا يمكنه من إلقاء الدروس والمحاضرات، ولذلك كتب لهن (مرشد أخوات الآخرة) المباركات والأخوات الشابات بعض ما يلزمهن فقال:

النساء رائدات الشفقة وبطلات الجحّان، إن فداء الأم بروحها إنقاذاً لولدها دون انتظار الأجر وتضحيتها بنفسها بإخلاص لأولادها تدلان على وجود بطولة سامية رقيقة في النساء بحيث يستطعن أن ينقذن حياتهن الدنيوية والأخروية بانكشاف هذه البطولة وانجلائها في أنفسهن، فأول أستاذ للإنسان وأكثر من يؤثر فيه إنما هي والدته دون انتظار لأجر ولا عوض.

وفي الوقت الحاضر ألزم شيء وأهم أساس في التربية الإسلامية وأعمال الآخرة إنما هو (الإخلاص) فمثل هذه البطولة الفائقة تضم بين جوانحها الإخلاص الحقيقي.

أما تضحية الآباء فلا تكون دون عوض، وإنما تطلب الأجر المقابل من جهات كثيرة وعلى الأقل تطلب الفخر والسمعة، ولكن مع الأسف فإن النساء المباركات يدخلن الرياء والتملق بطراز آخر وبطريق آخر نتيجة ضعفهن وعجزهن، وذلك خلاصاً من شر أزواجهن الظلمة وتسلمتهن عليهن.

والعلاج الناجع لإنقاذ سعادة النساء من الإفساد في دنياهن وأخراهن معاً ليس إلا في تربيتهن تربية دينية ضمن نطاق الإسلام الشامل.

إن النساء مخلوقات مباركة لِيَكُنَّ مَنشَأً للأخلاق الفاضلة، إذ تكاد تنعدم فيهن قابلية الفسق والفجور والتمتع بأذواق الدنيا.

نصيحة:

أخواتي: اعملن على كسب نفقاتكن بعمل أيديكن كما تفعل نساء الغرب واكتفين بالاقتصاد والقناعة المغروزيين في نظرتكن، وهذا أولى من بحس أنفسكن بسبب هموم العيش بالرضوخ لسيطرة زوج فاسد سيئ الخلق متفرنح، وإذا ما كان حظ إحداكن وقسمتها زوجاً لا يلائمها فلترض بقسمتها ولتقتنع فعسى الله أن يصلح زوجها برضاها وقناعتها، وإلا فإنها ستراجع المحاكم لأجل الطلاق وهذا لا يليق بعزة الإسلام وشرف الأمة، وقال:

إن الذي يدفع الإنسان إلى الزواج أسباب ثلاثة:

الأول: لقد وضعت الحكمة الإلهية ميلاً وشوقاً في الإنسان لإدامة التناسل، ووضع أمره لأداء تلك الوظيفة الفطرية /اللذة/ وقد تكون اللذة التي تدوم عشر دقائق سبباً في حمل المرأة الذي يجعلها تتحمل مشقات عشر سنوات في إحياء حياة طفلها، فيجب ألا تنير أحاسيس المرأة ودوافع نفسها ذلك الميل الفطري في الزواج.

الثاني: المرأة في حاجة إلى من يعينها في أمور العيش لضعف في خلقها، فمن الأولى لها أن تسعى لكسب نفقتها بنفسها فذلك أفضل من الرضوخ لسيطرة زوج نشأ على تربية غير إسلامية، وليس من شأن طالبة النور أن تبحث عن زوج تارك للصلاة فاقدر للأخلاق، ثم الرضوخ له من أجل ذلك الرزق.

الثالث: أن في فطرة المرأة حب للأولاد وملاطفتهم، والذي يقوي هذا الميل الفطري ويسوق إلى الزواج هو خدمة الولد لها في الدنيا وشفاعته لها يوم القيامة، إلا أن التربية الأوروبية التي حلت محل التربية الإسلامية تجعل واحداً أو اثنين من كل عشرة أبناء باراً بوالديه، ولذلك أقول: (يجب ألا يبعن أنفسهن رخيصات سافرات كاشفات ودون وجدانهن الزوج المؤمن الصالح ذا الأخلاق الحسنة الملائمة لهن تماماً، بل عليهن البقاء في حياة العزوبة إن لم يجدن ذلك الزوج الكفء، وذلك حتى لا تفسد سعادتهما الأخروية من أجل لذة دنيوية طارئة فتغرق في سيئات المدنية الحديثة) .

وقد أحاب الشيخ بديع الزمان على أسئلة خاصة بالمرأة، وكانت إجاباته مختصرة لأن حالته الصحية لا تسمح بالإطالة.

لماذا لم تتزوج ؟ سؤال يجيب عليه الشيخ بديع الزمان بقوله: لأجل أن أتمكن من القيام بخدمة القرآن على وجهها بإخلاص حقيقي كان لابد من ترك زواج الدنيا الأفنى الوقتي /مع علمي بأنه سنة نبوية/ لأن المنظمات الملحدة تشن هجمات عنيفة وتدبر مكائد خبيثة فلا بد لصدها بمنتهى التضحية وغاية الفداء وجعل جميع الأعمال في سبيل نشر الدين خالصاً لوجه الله تعالى وحده.

ما حكم الزواج ؟ يجيب الشيخ بديع الزمان على هذا السؤال بقوله: إن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحت على الزواج هي أوامر استحبابية لا وجوبية، فضلاً عن أنها موقوفة بشروط لابد من توافرها وقد يتعذر توافرها للجميع في كل وقت، ولم أقل لطلاب النور تخلوا عن الزواج، ولكن الأخ إذا ما وجد الزوجة التي تعينه على خدمة القرآن فيها ونعمت.

وطلب من طلاب النور أن يجعلوا يوقهم مدرسة نورية مصغرة كي يتربى الأولاد الذين هم ثمار تطبيق هذه السنة على الإيمان، وإلا فلو تربى الأولاد على التربية الأوربية وحدها، فإن أولئك الأولاد يكونون غير نافعين لكم في الدنيا من جهة، ومدعين عليكم يوم القيامة إذ يقولوا لكم : لماذا لم تنفذوا إيماننا، فتندمون وتحزنون من قولهم هذا يوم لا ينفع الندم، وما هذا إلا لمخالفة حكمة السنة النبوية المشرفة.

ما الحكمة في الاحتشام؟ يقول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٩) .

إن الاحتشام والحجاب في نظري أمر فطري للنساء تقتضيه فطرتهم لأنهن جبلن على الرقة والضعف، فيجدن في أنفسهن حاجة إلى رجل يقوم بحمايتهن وحماية أولادهن، فهن مسوقات فطرياً نحو تحبيب أنفسهن للآخرين.

ثم إن تسعة أعشار النساء إما متقدمات في العمر دميمات لا يرغبن في إظهار شيبتهن أو دمامتهن فيرغبن في التحفظ والتستر، فالمرأة لكونها رقيقة الطبع سريعة التأثر تتغير حتماً/ ما لم تفسد أخلاقها/ من نظرات خبيثة تصوب إليها والتي لها تأثير مادي كالسم، وكثير من النساء في أوروبا يشتكين إلى الشرطة من ملاحقة النظرات إليهن.

والزوجة ينبغي لها ألا تلفت أحداً في النظر إليها غير رفيقها الأبدي إلى مفاتها، وألا ترعجه ولا تحمله على الغضب أبداً.

ومعنى أن يكون الزوج كفواً للزوجة ملائمة الواحد للآخر ومماثلتهما، وأهم ما في الكفاءة هذه كفاءة الدين.

ثم إن دوام الثقة المتبادلة بين الزوجين واستمرار الاحترام اللائق والود الصادق بينهما، والتبرج والتكشف يخل بتلك الثقة ويفسد ذلك الاحترام والمحبة المتبادلة.

ويرى الشيخ بديع الزمان أن كشف بعض المواضع من الجسد يتساوى فيه المحرم وغيره، ولربما يهيج لدى بعض المحارم السافلين هوى النظرة الحيوانية، فمثل هذه النظرة سقوط مريع للإنسانية تقشعر من بشاعتها الجلود.

ما حكم كثرة النسل ؟ يقول : كثرة النسل مرغوبة دائماً، والرسول ﷺ يقول : « تناكحوا تناسلوا تكاثروا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة » رواه النسائي والبيهقي ، والتبرج يحد من الزواج لأن الشاب مهما بلغ فسوقه، فإنه يرغب في أن تكون صاحبه في الحياة مصونة عفيفة.

والمرأة من حيث كونها مديرة لشؤون البيت ومأمورة بالحفاظ على أولادها وزوجها وأمواله فهي تتصف بأعظم خصلة: الأمانة والثقة، إلا أن تبرجها يزعزع ثقة الزوج بها، فالتبرج الذي يثير هوى النفس يؤدي إلى الإفراط وتجاوز الحدود وإلى ضعف النسل وانهايار القوى.

ثم إن أهل المدن ينبغي ألا يقلدوا أهل القرى والأرياف في حياتهم الاجتماعية، ولا يرفعوا الحجاب فيما بينهم، لأن النساء في القرى يشتركن في أشغال متعبة لذا لا يهيج ما

قد ينكشف من أجزاء أجسامهن من شهوات للآخرين، فضلاً عن أنه لا يوجد في القرى سفهاء عاطلون بقدر ما هو موجود في المدن.

زواج النبي ﷺ بزَيْنَب ما سببه ؟

قال الشيخ بديع الزمان إن بعض أهل الضلالة يعدون زواج النبي ﷺ يقوم على الشهوة، وهذا هراء لأن من كان مالكا من الإنصاف يعلم أن النبي ﷺ من الخامسة والعشرين إلى الأربعين من عمره - تلك الفترة التي تغلّى فيها الحرارة الغريزية - قد التزم فيها بالعصمة التامة والعفة الكاملة واكتفى بزوجة واحدة، ولذلك فإن الزواج بعد هذه السن يكون لحكمة، فأسرار الدين وأحكام الشريعة النابعة من أحواله المخفية عنهم في نطاق أموره الشخصية الخاصة به، كان رواتها وحاملها من زوجاته الطاهرات، فقد أدين هذه المهمة على وجهها حق الأداء، بل إن نصف أحكام الدين وأسراره بكامله يأتي عن طريقهن.

أما زواجه بالسيدة صفية فقد كان بأمر الله تعالى ويظهر ذلك في قوله تعالى ﴿ زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ (الأحزاب: ٣٧) ، فإنفاذ النبي لذلك الأمر مضطراً، والسر في هذا الأمر موجود في الآية الكريمة نفسها ﴿ لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (الأحزاب: ٣٧) .

لماذا أباح الإسلام الرق وتعدد الزوجات ؟

الشريعة الإسلامية لم توجد الرق بل أوجدت السبل ومهدت الطرق لتحويل الرق من أقسى صورة إلى ما ييسر الوصول إلى الحرية التامة والانتقال إليها، أي عدلت تلك الصورة البشعة وقللت منها، ثم إن تعدد الزوجات إلى حد الأربعة مع أنها موافقة لطبيعة الإنسان والعقل والحكمة فإن الشريعة أنقصتها من الزوجات الثمانية والتسعة إلى الأربعة ووضعت للتعدد شروطاً، وحتى لو حصل في بعض النقاط شر فهو شر أهون، والخير المحض لا يمكن أن يحصل في جميع أنحاء العالم، ومثل أهل الضلالة يقول: إنني أرى سعادة الدنيا والتمتع بلذة الحياة، والرقى والحضارة والتقدم الصناعي يكون في عدم الإيمان بالله، وفي عدم تذكر الآخرة، وفي حب الدنيا، وفي التحرر من القيود.

والجواب على ذلك في قوله: عد إلى رشدك وأمامك طريقان:

الأول: طريق ذو شقاء يريك إياه داعية الضلال.

الثاني: طريق السعادة الذي يبينه القرآن الكريم.

وطريق الشرك والضلالة والسفاهة والسقوط يهوى بالإنسان إلى منتهى السقوط إلى أسفل السافلين، ويلقي على كاهله الضعيف العاجز في غمرة آلام غير محدودة عبئاً ثقيلاً لا نهاية لثقله.

أما الصراط المستقيم فإنه يداوي جميع تلك الجروح التي يعاني منها أهل الضلالة بالحقائق الإيمانية، ويبدد كل تلك الظلمات السابعة في ذلك الطريق، ويسد جميع أبواب الضلالة والمهلك، حيث يداوي ضعف الإنسان وعجزه وفقره واحتياجه بالتوكل على القدير الرحيم مُسَلِّماً أثقال الحياة وأعباء الوجود إلى قدرته سبحانه وإلى رحمته الواسعة، ويداوي أيضاً تلك الجروح الإنسانية الناشئة من فناء الدنيا وزوال الأشياء ومن حب الفانيات يداويها بلطف وحنان بإظهار الدنيا دار ضيافة، وبأن الدنيا مقدمة الوصال واللقاء مع الأحباء الذين رحلوا إلى عالم البرزخ والذين هم الآن في عالم البقاء ويثبت أن ذلك الفراق هو عين اللقاء.

هل المحبة اختيارية؟ سؤال يجيب عليه بقوله: المحبة ليست اختيارية، ولكن الأخ عليه أن يجعل محبته في سبيل الله ولوجهه الكريم، سواء أكان ذلك في حب الأطعمة الشهية أو حب الوالدين أو حب الأولاد أو حب الأصدقاء أو حب الزوجة أو حب الأنبياء والصالحين أو حب الحياة أو حب الشباب أو حب الدنيا وما فيها، فذلك الحب يجعل الأخ المسلم يسير في حبه طبقاً لما جاء به الإسلام فلا تتدخل النفس الأمارة في المحبة، ولذلك فإن كل أنواع المحبة إن وجهت الوجهة الصائبة على الصورة المذكورة فإنها تورث لذة حقيقية بلا ألم وتكون وصلاً حقاً بلا زوال - بل تزيد محبة الله تعالى - فضلاً عن أنها محبة مشروعة وشكراً لله تعالى في اللذة نفسها وفكراً في آلائه في المحبة عينها، والله سبحانه وتعالى يثيب المسلم على كل أنواع المحبة، بينما أنواع المحبة لدى أرباب الدنيا لها عواقب وخيمة من بلايا ومشقات مع ما فيها من نشوة ضئيلة وراحة قليلة.

نتائج المحبة الأخروية: يقول الشيخ بديع الزمان: إن الأخ المسلم يقدم شكراً معنوياً برؤيته الإنعام الإلهي في الأطعمة والفواكه وستسلم له في الجنة أطعمة لذيذة وفواكه طيبة، ومحبة النفس المشروعة ستكافؤ في الجنة بالخور العين والشباب الدائم الخالد في دار النعيم المقيم، ومحبة الزوجة تجعلها في الجنة أبهى من الخور العين، ومحبة الوالدين والأولاد تجعل الخالق سبحانه وتعالى يحسن إلى تلك العائلة السعيدة المحظوظة /على الرغم من تفاوت مراتبهم في الجنة/ لقاء بعضهم بعضاً والمعاشرة والمجالسة والمحادثة فيما بينهم بما يليق بدار البقاء، وينعم عليهم بملاطفة أولادهم الذين توفوا في الدنيا قبل بلوغ سن البلوغ، ويجعلهم لهم ولداناً مخلدين في ألطف وضع وأحبه إلى نفوسهم، ومحبة الأصدقاء والأقرباء التي يتطلبها الحب في الله تعالى، إما أن يكون في الجلوس على سرر متقابلين والموانسة بلطائف الذكريات، ومحبة الأنبياء والأولاد الصالحين تكسب شفاعتهم، والحديث الشريف يقول: (المرء مع من أحب) ، فالإنسان يستطيع أن يرتفع إلى أعلى مقام وأرفعه بما نسج مع صاحبه من أواصر المحبة وبانتمائه إليه واتباعه له.

ومحبة الدنيا المشروعة تجعل الدنيا مزرعة للآخرة، وهي خالدة دائمة وتكون نتيجتها أثمار جنة واسعة تسع الدنيا كلها، تنكشف فيها جميع الحواس والمشاعر الإنسانية التي يحملها الإنسان في الدنيا كبذرات صغيرة انكشافاً كاملاً تاماً.

رسالة الحشر:

في أحد أيام الربيع الزاهر وعلى ضفاف بحيرة وادعة هادئة ممتدة إلى الأفق الواسع، كان الشيخ بديع الزمان النورسي سارحاً بنظره في تأمل عميق نحو البحيرة الملساء، وقمم الجبال الشامخة المكسوة بالغابات الكثيفة، والخضرة المزدانة بأنواع الأزهار والرياحين، فملكته فؤاده روعة المنظر، ودقة الصنع، وجمال الوجود، وأخذته الدهشة من انبعاث الحياة في كل ما حوله من جمادات ونباتات، وسريان روح الربيع الزاهرة بعد أن كانت ملتفة طوال أيام الشتاء بأكفان الجليد، فبدأ يردد قوله تعالى ﴿ فَأَنْظُرْ إِلَىٰ ءَآثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُخْصِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُخْصِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الروم: ٥٠) ، زهاء أربعين مرة وهو يذرع جانباً من ضاف بحيرة (بارلا) جيئةً وذهاباً،

حتى شرح الله تعالى صدره وقذف في قلبه نوراً من فيض هذه الآية الكريمة، فأخذت المعاني الجليلة تسلك سبيلها إلى نفسه، فما كان منه إلا أن أملى هذه المعاني على أحد تلاميذه فكانت هذه الرسالة، وكان ذلك في عام ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٦ م، والشيخ النورسي كان تحت الإقامة الجبرية في (بارلا) ، تلك القرية النائية على سفح جبال طوروس جنوب غربي تركيا.

وهذه الرسالة تتضمن حقائق قاطعة وأدلة راسخة حول قيام الساعة ونصب ميزان الحق ووجود الآخرة بما فيها الجنة والنار من خلال أمثلة رائعة عما نلّمسه حولنا من آثار معدلات الفصول وبالأخص الربيع وما يتعامل بها من بدهيات الحياة اليومية.

وقد حاول الشيخ بديع الزمان في هذه الرسالة الوصول إلى تقريب المعاني إلى الأذهان، وإظهار مدى مفعولية الحقائق الإسلامية ومدى مناسبتها ورصانتها، فأورد تشبيهات وأمثلة في صورة حكايات، وقال: "إن الثواب والعقاب في حكم المعدوم في هذه الدار، فلا بد من محكمة كبرى في دار أخرى، والرزق في الدنيا للجميع وقد يكون للبعيدين عن منهج الله أكثر، وفي الدنيا قد يرحل الظالم في عزته وجبروته كما يرحل المظلوم في ذلته وخضوعه، فالقضية موجلة إلى محكمة أخرى، والجميع يغادرون دار الضيافة هذه بسرعة ويغيبون عنها بلا ارتواء من نور ذلك الجمال والكمال، بل قد لا يرون إلا ظلالاً خافتة عبر لمحات سريعة، فالرحلة منطلقة إلى مشهد دائم خالٍ والذين هم في دار الامتحان هذه ليسوا عبثاً، بل تنتظرهم قصور السعادة السرمدية أو غياهب السجون الأبدية الرهيبة.

والأعمال والأفعال في الدنيا ما هي إلا لأجل ما أعد في الآخرة من جزاء، فالمالك القدير يكلف هنا ويجازى هناك فلكل فرد لون من السعادة حسب استعداداته وما أقدم عليه من خير، وكل ما يعمل به الإنسان مدون، ولذلك فإن الله تعالى يحاسبه على ما قدمت يده، وقد يقدم على عمل يمس الملك العزيز وتعرض لكبريائه وتأباه رحمته الواسعة، ذلك لأنهم لا ينالون عقاباً في الدنيا فلا بد وأن يؤجل إلى المحكمة الكبرى في دار أخرى، ولا بد وأن يكون الرحيل إلى ذلك العز وستعرض الأمور كلها في المشهد الأعظم والعرض

الأكبر، والمقصود من هذه الاحتفالات بلوغ سعادة عظمى ومحكمة كبرى وغايات سامية مستورة عنا، وديار غير هذه الديار فيها محكمة عليا وإنصاف سام ومكرمة عظمى لتظهر هذه الرحمة وهذه الحكمة وهذه العدالة بوضوح وجللاء.

والمملكة المؤقتة ما هي إلا بمثابة مزرعة وميدان تعليم وسوق تجارى، فلا بد وأن تأتى بعدها محكمة كبرى وسعادة عظمى، فيا أيها الأحباب تهيؤوا فإنكم سترحلون إلى مملكة أخرى ما أعظمها من مملكة رائعة، إن مملكتنا هذه تعد كالسجن بالنسبة لنا، فإذا ما أصغيتم إلى هذا الأمر بإمعان ونفذتموه بإتقان فستكونون أهلاً لرحمة سلطاننا وإحساناته في مستقره الذي يتجهون إليه، وإلا فالزنزانات الرهيبة مثواكم جزاء عصيانكم الأمر وعدم أكثر انكم به.

الحقائق العليا: يقول الشيخ بديع الزمان: إن الكون لا بد له من مبدع، وهناك ثلاث حقائق للمغفل ولصديقه الناصح الأمين المذكورين في الحكاية :

الأولى : هي نفسي الأمانة وقلبي.

والثانية: متعلموا الفلسفة وتلاميذ القرآن الكريم.

والثالثة: ملة الكفر والملة الإسلامية.

وخلق كل شيء من شيء واحد، وخلق شيء واحد من كل شيء، إنما هو عمل يخص خالق كل شيء ، وعدم الاعتقاد بالإله الواحد الأحد يستلزم الاعتقاد بآلهة عدة بعدد الموجودات.

وظائف النبوة:

ويلزم أن يكون مثل هذا الكون البديع ولصانعه القدوس مثل هذا الرسول الكريم كلزوم الضوء للشمس، فكما لا يمكن للشمس إلا أن تشع ضياء كذلك لا يمكن للألوهية إلا أن تظهر نفسها بإرسال الرسل الكرام.

ترى هل ظهر في العالم من هو أليق لمنصب الرسالة ومهمة التبليغ من محمد ﷺ ؟
والقرآن الكريم الذي هو بحر الحقائق والمعجزة الكبرى كالشمس الساطعة دليل قاطع على صدق رسالته.

أهمية الإنسان:

الإنسان سيد هذه المخلوقات على الرغم من أنه صغير جداً وذلك لما يملك من فطرة جامعة شاملة، فهو قائد الموجودات والداعي إلى سلطانية ألوهية الله، والممثل للعبودية الكلية الشاملة مظهرها لذا فإن له أهمية عظيمة، والكفر جريمة كبرى لأنه يهبط بقيمة الكائنات ودرجتها إلى الهاوية، ومن ثم فإنه تكذيب ما لا يحصى من الأدلة الدالة على حقيقة وجود ذات الحق سبحانه وتعالى، وكل هذا جناية لا حدود لها والجناية التي لا حدود لها توجب عذاباً غير محدود.

العالم الفاني دليل على العالم الباقي:

ليس من الممكن أن من له شأن الربوبية وسلطنة الألوهية فأوجد كوناً بديعاً كهذا الكون لغايات سامية ولمقاصد جليلة إظهار الكمال أن لا يكون لديه ثواب للمؤمنين الذين قابلوا تلك الغايات والمقاصد بالإيمان والعبودية ولا يعاقب أهل الضلالة الذين قابلوا تلك المقاصد بالرفض والاستخفاف.

ولابد وأن يكون هناك دار سعادة تليق بذلك الكرم العميم، وتنسجم يده بتلك الرحمة الواسعة، ولابد من جزاء يناسب ذلك الجلال والعزة وينسجم معها، لأنه غالباً ما يظل الظالم في عزته، والمظلوم في ذلته وخنوعه، ثم يرحلان على حالهما بدون عقاب ولا ثواب، فالقضية لم تهمل ولن تهمل وإن أمهلت إلى محكمة كبرى، بل قد يعجل العقوبة في الدنيا كإنزال العذاب في القرون الغابرة على أقوام عصت وتمردت، فالإنسان ليس متروكاً زمانه، بل هو معرض دائماً لصناعات ذي الجلال، والعدالة الحققة تقتضي أن يلاقي هذا الإنسان الصغير ثوابه وعقابه /لا على أساس صغره/ بل على أساس ضخامة جنايته، وعلى أساس ماهيته، وعلى أساس عظمة مهمته، ولابد من جنة أبدية ومن جهنم دائمة للعادل الجليل في الجمال وللحكيم ذي الجلال، والنظر إلى جمال ذاته يستدعي أن يكون من جهتين:

الأولى: مشاهدة الجمال - بالذات - في المرايا المختلفة المتعددة الألوان.

الأخرى: مشاهدة الجمال بنظر المشاهدين المعجبين المستحسين.

ولما كان الجمال والحسن خالدين فإيهما يقتضيان خلود المشتاقين، لأن الجمال الدائم لا يرضى بالمشتاق الزائل الأقل، والشخص الأناني يعادي ما يجهله وما لا تصل إليه يده ويضمّر عداً وحقدًا وإنكاراً لذلك الجمال الذي ينبغي أن يقابل بما يستحقه من محبة بلا نهاية وشوق بلا غاية وإعجاب بلا حد ومن هذا يفهم سر كون الكافر عدواً لله تعالى.

الشفعة وعبودية محمد:

يقول الشيخ بديع الزمان: إنه يسأل السعادة الأبدية لنفسه ولأمته، يسأل الخلود في دار البقاء، يسأل الجنة ونعيمها ويستشفع بالأسماء الحسنى، وكما أن رسالته ﷺ كانت سبباً لإيجاد دار الامتحان فإن عبوديته - كذلك - أصبحت سبباً لخلق تلك الدار السعيدة الأبدية فالرسول ﷺ كما أنه قد فتح برسالته باب الحياة الدنيا، فإنه قد فتح أيضاً باب الجنة بعبوديته.

باب العظمة السرمدية:

يقول الشيخ بديع الزمان إن الدأب والسعي في الدنيا إنما هو للتطلع إلى ما في الآخرة والاستخدام هنا لقبض الأجر هناك، فلكل حسب استعداداه واجتهاده سعادة وافرة إن لم يفقدها، والدنيا دار ضيافة تملأ وتفرغ ومنزل حلٍ وترحال، وأنشئت بحكمة لقافلة الموجدات والمخلوقات وساكنوا هذا الفندق هم ضيوف ومسافرون وربهم الكريم يدعوهم إلى دار السلام وهذه الفترة الغالية الثمن والقصيرة العمر هي للعبرة والشكر، وللحضر على الوصول إلى تناول أصولها الدائمة ولغايات أخرى سامية.

وهذه الزينة في الدنيا إنما هي بمثابة صور ونماذج للنعم المدخرة لدى الرحمة الإلهية في الجنة للمؤمنين، وهذه المصنوعات الغالية ليست للفناء، ولم تخلق لتشاهد حيناً ثم تذهب هباءً وإنما اجتمعت هنا.

والإنسان لم يُترك حبله على غاربه، بل تُسَخَّل كل أعماله ليحاسب عليها، والرحمن الرحيم سوف يكرم في ذلك العالم الفسيح عباده المخلصين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

باب الحفظ والحفظة (وهو تجلي اسم الحفيظ والرقيب):

يقول الشيخ بديع الزمان: إن هذه المحافظة الواسعة الدقيقة تدل على أنه سيفتح سجل المحاسبة على الأعمال، ولا سيما لهذا المخلوق المكرم والمعزز والمفطور على مزايا عظيمة ألا وهو الإنسان، فلا بد وأن تدخل أعماله من ميزان حساس ومحاسبة دقيقة، ولا بد وأن تنتشر صحائف أعماله.

باب الوعد والوعيد (وهو تجلي اسم الجميل والجليل):

يقول الشيخ بديع الزمان: إن مَثَل الإنسان كمَثَل المسافر الذي يغمض عينيه عن نور الشمس وينع ما في عقله من خيال ثم يريد أن ينور طريقه المخيف بضياء ما في عقله من نور كنور اليراع، فما دام الله سبحانه وتعالى قد وعد، وهذه الموجودات كلماته الصادقة بالحق، وهذه الحوادث في العالم آياته الناطقة بالصدق، فإنه سيوفي بوعده وسيفتح محكمة كبرى وسيهب سعادة عظمى.

باب الأحياء والأمانة (وهو تجلي اسم الحي القيوم المحي المميت):

يقول الشيخ بديع الزمان: إن البارئ المصور سبحانه وتعالى يكتب أمام أنظارنا أحسن صورة وأتمها بقلم القدرة والقدر أكثر من ثلاثمائة ألف نوع على صحيفة الأرض لا صحيفة الشتاء البضاء إلى الأوراق المفتحة للربيع والصيف متداخلة دون اختلاطها. ولذلك فليس هناك شيء يحول دون حدوث الحشر، بل كل شيء يقتضيه ويستدعيه، وليس هناك خبر أصدق من هذا ولا قضية أصوب منها ولا أوضح، فلا شك أن الدنيا مزرعة للآخرة والمحشر، واللجنة والنار مخزنان.

باب الحكمة والعناية والرحمة (وهو تجلي اسم الحكيم والكريم والعدل الرحيم):

يقول الشيخ بديع الزمان: ليس هناك علاقة أو مناسبة بين ما يشاهد في شؤون العالم من تجمعات واسعة للحياة واقتراحات سريعة للموت وتكتلات ضخمة وبين ما هو معلوم لدينا من نتائج جزئية وغايات تافهة مؤقتة وفترة قصيرة تعود إلى الدنيا الفانية، وذلك يدل دلالة واضحة على أن هذه الموجودات متوجهة إلى عالم المعنى حيث تعطى ثمارها اللطيفة اللائقة هناك وأن أنظارها متطلعة إلى الأسماء الحسنى وأن غاياتها ترنو إلى ذلك العالم.

والإنسان يزرع هنا في الدنيا ويحصد في الآخرة، وإنكار الآخرة هو إنكار للدنيا، وكما أن الأجل والقر ينتظران الإنسان فإن الجنة والنار كذلك تنتظرانه وترصدانه.

باب الإنسانية (وهو تجلي اسم الحق):

يقول الشيخ بديع الزمان: إن الإنسان الذي لديه هذا الاستعداد الفطري والذي له آمال تمتد إلى الأبد وأفكار تحيط بالكون ورغبات تنتشر في ثنايا أنواع السعادة الأبدية، هذا الإنسان إنما خلق للأبد وسيرحل إليه حتماً فليست هذه الدنيا إلا دار ضيافة مؤقتة وصالة انتظار الآخرة.

باب الرسالة والتزويل (وهو تجلي بسم الله الرحمن الرحيم):

يقول الشيخ بديع الزمان: إذا لاحظ الإنسان ما هو ظاهر في أغلب الأشياء من تنظيم الحكمة وتزيين العناية وتقدير العدالة، ولطافة الرحمة تبين أنها صادرة من يد القدرة لصانع حكيم كريم عادل رحيم، كذلك إذا لوحظت عظمة هذه الصفات الجليلة وقدرتها وقوتها وطلاقتها، مع قصر حياة هذه الموجودات في هذه الدنيا وزهادتها، فإن الآخرة تتبين من خلالها، أي أن كل شيء يقرأ ويستقرأ بلسان الحال قائلاً (آمنت بالله واليوم الآخر).

ثم تحدث الشيخ بديع الزمان عن ضرورة عقيدة الآخرة لحياة الإنسان الفردية والجماعية، لأنها أساس جميع كمالاته ومثله وسعادته، وهي أظهر دلالة من حاجة المعدة إلى الأطعمة والأغذية وأصح شهادة منها.

والقرآن الكريم به نحو ثلث القرآن وأوائل أغلب السور القصار آيات عنيفة على الحشر تنبئ عن الحقيقة نفسها صراحة أو إشارة، وبينها بوضوح في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (الحج: ١)، ومادام الله جل جلاله موجوداً فإن الآخرة لا ريب فيها مطلقاً.

وكما تثبتت الأركان الإيمانية بالله وبرسله وبكتبه فكذلك الإيمان بملائكته وبالقدر خيره وشره من الله تعالى ويشهدان شهادة قوية على العالم الإسلامي ويدلان عليه، ومادامت في الدنيا حياة فلا بد أن الذين يفهمون سر الحياة من البشر ولا يسيئون استعمال

حياتهم يكونون أهلاً لحياة باقية في دار باقية وفي جنة باقية، وفي الحشر تعود الأرواح إلى أجسادها وتحيا الأجساد وتنشأ وتلي.

وبعد فإن دراسة تاريخ الشيخ بديع الزمان النورسي تكشف عن فترة تاريخية من حياة تركيا الحديثة وما تركته شخصيته فيها من آثار عميقة واضحة المعالم في الحياة السياسية والفكرية والاجتماعية في الشعب التركي .

وهذا التأثير مازال سارياً يفعل فعله ويؤدي دوره في حياته وبعد وفاته، ويعترف بذلك أعداؤه وخصومه، وهذه الدراسة تبين أن دين الإسلام دين حيوي به قوة ذاتية قادرة على العطاء في كل زمان وفي كل مكان، وأن هذه الحيوية قادرة على أن تنهض بالشعوب الإسلامية، وتلقي بين أيديها بزمام العالم إذا توافرت لها القلوب الواعية السليمة والعقول الذكية والأذهان المفتحة والإخلاص الكامل والعمل الجاد.

بديع الزمان يتحدث إلى الأخوات:

يقول الشيخ بديع الزمان: إن النساء هن رائدات الشفقة وملاذ الحنان، وفداء الأم بروحها إنقاذاً لولدها من الهلاك إنما يتم دون انتظار الأجر، وتضحيتها بنفسها بإخلاص لأولادها يدل على بطولة سامية رقيقة في النساء بحيث يستطعن أن ينقذن حياتهن الدنيوية والأخروية بانكشاف هذه البطولة وانجلائها في أنفسهن، وأول أستاذ للإنسان وأكثر من يؤثر فيه إنما هي والدته دون انتظار لأجر أو عوض.

وهذه البطولة الفائقة في الشفقة تضم بين جوانحها الإخلاص الحقيقي، أما تضحية الآباء فلا تكون دون عوض وإنما تطلب الأجر والمقابل من جهات كثيرة وفي الأقل تطلب الفخر والسمعة.

ولكن /مع الأسف/ فإن النساء المباركات يُدخلن الرياء والتملق بطراز آخر وبطريق آخر نتيجة ضعفهن وعجزهن وذلك خلاصاً من شرار أزواجهن الظلمة وتسلمتهن عليهن. والعلاج الناجع لإنقاذ سعادة النساء من الإفساد في دنياهن وأخراهن معاً ليس إلا في تربيتهن تربية دينية ضمن نطاق الإسلام الشامل.

نعم إن النساء مخلوقات مباركة لِيَكُنْ مَنشَأُ للأخلاق الفاضلة، إذ تكاد تنعدم فيهن قابلية الفسق والفجور للتمتع بأذواق الدنيا.

ثم يقول: أخواني اعملن على كسب نفقاتكن بعمل أيديكن كما تعمل نساء القرى واكتفين بالاقتصاد والقناعة المغروزيين في فطرتكن، وهذا أولى من بخش أنفسكن بسبب هموم العيش بالرضوخ لسيطرة زوج فاسد الأخلاق متفرنج، وإذا ما كان حظ إحداكن وقسمتها زوج لا يلائمها فلترض بقسمتها ولتقتنع فعسى الله تعالى أن يصلح زوجها برضاها وقناعتها، وإلا فإنها سترجع إلى المحاكم من أجل الطلاق وهذا لا يليق بشرف المرأة.

ما الذي يدفع إلى الزواج؟ سؤال يجيب عليه الشيخ بديع الزمان بقوله: إن الذي يدفع إلى الزواج أسباب ثلاثة:

الأول: لقد وضعت الحكمة الإلهية ميلا وشوقا في الإنسان لإدامة التناسل ووضعت أجرا لأداء تلك الوظيفة الفطرية / اللذة / وقد تكون اللذة التي تدوم عشر دقائق سببا في حمل المرأة الذي يجعلها تتحمل مشقات عشر سنوات في حياة طفلها.

الثاني: المرأة في حاجة إلى من يُعِفِّها ويُعِينها في أمور العيش لضعف في خلقتها، وعلى طالبة النور أن تبحث عن زوج يؤدي الصلاة وأخلاقه حسنة وإلا فلا داعي للرضوخ لزوج من هذا النوع من أجل الرزق.

الثالث: أن في فطرة المرأة حب الأولاد وملاطفتهم والذي يقوي هذا الميل الفطري ويسوقه إلى الزواج خدمة الولد لها في الدنيا وشفاعته لها يوم القيامة، إلا أن التربية الأوربية التي حلت محل التربية الإسلامية تجعل واحدا أو اثنين من كل عشرة أبناء بارا بوالديه.

ولذلك أقول: يجب ألا يعين أنفسهن رخيصات سافرات دون وجدانهن الزوج المؤمن الصالح صاحب الأخلاق الحسنة الملائم لهن تماما، بل وعليهن البقاء في حياة العزوبة إن لم يجدن ذلك الزوج الكفء، وذلك لئلا تفسد سعادتهن الأخروية من أجل لذة دنيوية طارئة، فتفرق في سينات المدنية الحديثة.

وطلب الشيخ بديع الزمان من الشباب المسلم أن يجعلوا بيوهم مدرسة نورانية مصغرة كي يتربى الأبناء الذين هم ثمار تطبيق هذه السنة على الإيمان وإلا فإن الأولاد لو تربوا على التربية الأوربية وحدها فإنهم يكونون غير نافعين لكم في الدنيا /من جهة/ ومُدَّعين عليكم يوم القيامة إذ يقولون: لِمَ لَمْ تنتقدوا إيماننا ؟ فتندمون وتحزنون من قولهم هذا يوم لا ينفع الندم، وما هذا إلا لمخالفة حكمة السنة النبوية الشريفة.

ما الحكمة في الاحتشام؟ سؤال يجيب عليه الشيخ بديع الزمان بقوله: يقول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٩).

إن الاحتشام والحجاب ما هو إلا أمر فطري للنساء تقتضيه فطرتهن لأنهن جُبلن على الرقة والضعف، ولذلك فإنهن يجدن في أنفسهن حاجة إلى رجل يقوم بحمايتهن وحماية أولادهن، فهن مسوقات فطريا نحو تحبيب أنفسهن للآخرين.

ثم إن سبعة أعشار النساء إما متقدمات في العمر أو دميمات لا يرغبن في إظهار دمامتهن فيرغبن في التحفظ، والمرأة لكونها رقيقة الطبع سريعة التأثر بتغير حتما، ما لم تفسد أخلاقها من نظرات تُصَوَّب إليها والتي لها تأثير مادي كالسُم، وكثير من النساء في أوروبا يشتكين إلى الشرطة من ملاحقة النظرات إليهن.

والزوجة ينبغي لها ألا تلفت نظر أحد غير رفيقها الأبدي إلى مفاتها وألا ترعجه ولا تَحْمِلْهُ عَلَى الغضب والغيرة، ومعنى أن يكون الزوج كفوا للزوجة أن تكون ملاءمة الواحد للآخر وأهم ما في الكفاءة كفاءة الدين.

ثم إن دوام الثقة المتبادلة بين الزوجين واستمرار الاحترام اللائق والود الصادق بينهما شيء أساسي، والتبرج والتكشيف يُخِلُّ بتلك الثقة ويفسد ذلك الاحترام والمحبة المتبادلة.

ويرى الشيخ بديع الزمان أن كشف بعض مواضع من الجسد يتساوى فيه المحرم وغيره، ولربما يهيج لدى بعض المحارم السافلين هوى النظرة الحيوانية، فمثل هذه النظرة مسقط مريع للإنسانية تقشعر من بشاعتها الجلود.

والتبرج يحد من الزواج لأن الشباب مهما بلغ فسوقه يرغب في أن تكون صاحبه في الحياة مصونة عفيفة، والمرأة من حيث كونها مدبرة لشؤون البيت ومأمورة بالحفاظ على أولادها وعلى زوجها وأمواله فإنها تتصف بأعظم خصلة الأمانة والثقة إلا أن تبرجها يزعزع ثقة الزوج بها، فالتبرج الذي يثير هوى النفس يؤدي إلى الإفراط وتجاوز الحدود، وإلى ضعف النسل وانهيار القوى.

إنقاذ الإيمان:

لقد قرأ الشيخ بديع الزمان في الصحف المحلية خيراً مدهشاً هز كيانه كله هزاً عنيفاً وهو أن وزير المستعمرات البريطاني (غلادستون) قال في مجلس العموم البريطاني وهو يخاطب النواب ويده نسخة من القرآن الكريم: (مادام هذا القرآن بين يدي المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم - لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود أو نقطع صلة المسلمين به) .

لذلك صمم على أن يكرس حياته لإنقاذ الإيمان وربط المسلمين بكتاب الله تعالى وقال: (لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها)، ودعاه مصطفى كمال للانضمام إلى حركة المقاومة في أنقرة، فلاحظ أن معظم النواب لا يصلون، كما أن تصرفات مصطفى كمال وسلوكه المعادي للإسلام أحزنه كثيراً، فقرر أن يطبع بياناً، وكان ذلك في عام ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٣ م يتضمن عشر مواد موجهة إلى النواب يعظهم ويذكرهم بالإسلام، وكان من أثر هذا البيان أن استقام ستون نائباً على التدين وأقاموا الصلاة، فاستدعاه مصطفى كمال وأتمه بأنه عن طريق بيانه يث الفرقة بين أهل المجلس، فأجابه سعيد: (إن أعظم حقيقة تتجلى بعد الإيمان هي الصلاة، وإن الذي لا يصلي خائن وحكم الخائن مردود) .

وقرر سعيد النورسي أن يعمل على إنقاذ الإيمان في تركيا، ورأى أنها مسألة أساسية لا تحتمل التأجيل أو التسويف، وكان يقول للناس: (إن الوقت الآن هو وقت إنقاذ الإيمان) .

ولذلك ألف رسائل النور وقدم الرسائل بفهمه الخاص الذي كان يعرض فيها الحقائق الكونية العويصة بأسلوب المنطق الفطري الذي كان يفهمه ولا يفهم غيره، واستطاعت هذه الرسائل أن تبني في تركيا كلها مدرسة روحية وثقافية كبرى مستقيمة المسالك آتت أكلها بإذن ربها في كل مكان.

نعم لقد حملت رسائل النور معاول التوحيد الحق، فأهوت بها على مراكز الثقافة الفكرية والاجتماعية التي تفرعت من المدارس المادية، فأنقذت المجتمع التركي المسلم من كارثة حضارية محققة، لأن الأمر وصل إلى تدريس تلك المبادئ المادية في المدارس والتمكين لها في نفوس الناشئة وأبناء الجيل الجديد على صفحات المجلات والصحف وعبر أجهزة الإعلام، ولكي ينقذ الإيمان كان لابد وأن تستعين بالله من الشيطان الرجيم ومن نزعات النفس الأمارة بالسوء ومن الفساد الموجود في المجتمع، ثم لابد وأن نكون وسطاً في كل أفعالنا مع القناعة والرضا بقضاء الله تعالى ولا بد من الإخلاص الكامل لله تعالى والصبر والشكر.

إن إنقاذ الإيمان إنما يكون بالبعد عن اليأس والقنوط، ويكون بإحياء الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية والثقافية ويكون بالتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وبتحقيق الأخوة الإسلامية حتى يكون المسلمون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، وكالجلسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر، ويكون السبعد عن التكبر والاستبداد والغش والخداع والكذب وغير ذلك من الصفات التي تهدم ولا تبني.

ويلاحظ أن الدأب والسعي في الدنيا إنما هو للتطلع إلى ما في الآخرة والعمل الصالح هنا لقبض الأجرة هناك، فلكل حسب استعداداه واجتهاده سعادة وافرة إن لم يفقدها. والدنيا ما هي إلا دار ضيافة تملأ وتفرغ ونزل حل وترحال، وقد أنشئت بحكمة لقافلة الموجودات والمخلوقات، وساكنوا هذا الفندق هم ضيوف مسافرون وربهم الكريم يدعوهم إلى دار السلام.

وهذه التربية الغالية الثمن والقصيرة العمر إنما هي للعبرة والشكر وللحس على الوصول إلى تبادل أصولها الدائمة ولغايات أخرى سامية، وهذه الزينة في الدنيا إنما هي

بمثابة صور ونماذج للنعم المؤخرة لدى الرحمة الإلهية في الجنة للمؤمنين.

والإنسان لم يترك حبله على غاربه، بل إن أعماله كلها تسجل ليحاسب عليها والرحمن الرحيم سوف يكرم في ذلك العالم الفسيح عباده المخلصين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

والتاريخ يشهد على أن السر في قوة المسلمين ورفيهم وتقدمهم يكمن في تمسكهم بدينهم، ولو أننا أنقذنا الإيمان وأظهرنا كمالات أخلاقه وحقائقه الإيمانية في سلوكنا، لدخل أتباع الأديان الأخرى في الإسلام .

وعزة الإسلام تكون بإعلاء كلمة الله تعالى، وذلك يستلزم التقدم المادي والتقدم العقلي والتقدم النفسي.

والصدق أساس من أسس الإسلام بل إنه واسطة العقد في سجاياه الدقيقة وعلمنا أن نحبي الصدق الذي هو حجر الزاوية في حياتنا الاجتماعية وبه نداوى أمراضنا الروحية. وقد أثبتت الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية ما في روح العداوة من ظلم وتحريف وفساد، وأن غرور الإنسان وأنانيته قد يقودانه إلى اتخاذ مواقف المعادة تجاه إخوانه المؤمنين بدون شعور فيظن الإنسان نفسه محقاً.

والغربيون ينظرون إلى الإسلام على أنه يعوق الفكر عن الإبداع والاكتشاف، كما ينظرون إلى الأديان الأخرى، ولكن بعضهم اكتشف - بعد دراسته للإسلام - أن الإسلام يختلف عن ذلك لأن الله تعالى تكفل بحفظ القرآن الكريم فلم يكن فيه تحريف، ومن هؤلاء (بسمارك) الذي يعتبر من أشهر رجال الفكر في أوروبا والذي قال: (لقد درست الكتب السماوية بدقة وشمول، ونظراً لتوثيقها فإني لم أجد فيها الحكمة الحقيقية التي تكفل سعادة البشرية، بيد أني وجدت قرآن محمد يعلو سائر الكتب) .

وعلى المسلمين في العصر الحاضر أن يعرفوا أن الإسلام يحتفظ بالقوى التي لا يمكن أن تغلب أو تقهر، فالإسلام يجعلهم كنفس واحدة مجهزة بالعلوم والفكر والحرية الشرعية المعلمة للبشرية طريق التسابق نحو المعالي الممزقة للاستبدادات والمظالم، وعزة الإسلام تكون بإعلاء كلمة الله، وذلك لا يتحقق إلا بالتقدم المادي والروحي معاً.

خاتمة

المدافعة بين الحق والباطل سنة إلهية، ولكن أهل الباطل دائما يستهويهم القهر والتعذيب، ثم يزعمون أن الآخرين هم المتطرفون الذين يستحقون السجن والتعذيب والقتل .

ويوسف عليه السلام لقي ما لقي في السجن مع أن الجميع يعلمون أنه مظلوم، وأن الذين حكموا عليه بالسجن هم الظالمون، والسبب أنه لم يستجب لنداء غريزة النساء، وقالت امرأة العزيز في صراحة وجرأة ﴿وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرُهُ لَيَسْجَنَنَّ وَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (يوسف: ٣٢) .

ولكن يوسف عليه السلام لم يهن ولم يضعف وقال في صراحة ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ (يوسف: ٣٣) .

وفي داخل السجن أخذ يدعو من معه في السجن إلى الله على بصيرة، وقال لهم : ﴿يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرْيَا بَ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٤٠، ٣٩) .

وهكذا نرى أن يوسف عليه السلام أسس جامعة معنوية ربي في داخلها جماعة من الشباب الذين يمكن أن يقوموا بالدعوة إلى الله ، وعلى هذا المنوال نجد أن بعض العلماء في جميع بلاد العالم الإسلامي حملوا لواء الدعوة إلى الله في داخل السجون، ومن هؤلاء الشيخ سعيد النورسي، القمر الذي أضاء سماء تركيا في فترة من أخطر الفترات التي مرت بها، فقد عايش كمال أتاتورك الذي كان يمارس البطش والإرهاب لمن يتمسك بالإسلام أو يدعو إليه، وقد أقم الشيخ سعيد النورسي باتهامات كثيرة منها :

- ١- أنه يدعو إلى تطبيق الشريعة الإسلامية.
- ٢- تأليف جمعية سرية.
- ٣- العمل على هدم الثورة الكمالية.
- ٤- تشكيل طريقة صوفية.
- ٥- إثارة روح التدين بنشر رسالة "الحجاب للنساء" .

وقد وضع في سجن انفرادي فترات، ومع مجموعة من الشباب فترات أخرى، وفي داخل السجن مكث يدعو إلى الله على بصيرة، وعلى يديه تاب عدد كبير من المحرّمين، وبدؤوا يسرون في الطريق، وفي داخل السجن ربى عددا كبيرا من الشباب على مبادئ الإسلام، وفي داخل السجن استمر في تأليف رسائل النور.

ومن المحاكمات التي قدم لها "محكمة أفيون" بسبب تأليف رسائل النور، ولكن المحكمة حكمت ببراءته، ولذلك فقد بدأت الرسائل تأخذ طريقها في النشر وكان فرحا بذلك فرحا شديدا، وكان يقول (هذا عيد رسائل النور - لقد كنت أنتظر هذا اليوم لقد أنهيت مهمتي إذن سوف أرحل قريبا) .

وفي أيامه الأخيرة استدعى طلابه حيث ودعهم واحدا واحدا قائلا لهم وعيناه تفيض بالدموع : (أستودعكم الله إني راحل) .

وقد استطاع الشيخ بديع الزمان بجامعته المعنية أن يربي مجموعة من الشباب في داخل السجون، وقد استطاعوا أن يقوموا بدورهم في المحافظة على الإسلام والدعوة إليه، ولا زالوا يقومون به حتى الآن، وبذلك استطاعوا أن يبقوا على الإسلام في تركيا، وأن ينشروه بين الأجيال المقبلة، وأن ينتصروا على ظلم الحكام شيئا فشيئا حتى وجدنا أشياء كثيرة يسمح لها بالوجود كالمساجد، ومكاتب تحفيظ القرآن، وتعلم اللغة العربية، والآذان باللغة العربية، والحجاب للمرأة، واللحية للرجال، كما وجدنا الصوت الإسلامي في تركيا يظهر في مشكلات المسلمين في البوسنة والمهرسك، وفي أذربيجان وغير ذلك ...

وهكذا يكون الشيخ بديع الزمان النورسي مدير جامعة يوسف المعنية قد استطاع أن يؤدي رسالته كاملة، وأن يقتدي بالنبي ﷺ في تربية جيل تربية إسلامية كاملة يتولى الدفاع عن الحق حتى ينتصر على الباطل، وأن يتحمل من أعداء الإسلام الكثير في داخل السجن وفي خارجه، ولا يتغنى من وراء ذلك إلا إرضاء الله سبحانه وتعالى ...
ولمثل هذا فليعمل العاملون ...

الصفحة	الموضوع
٣	بين يدي الكتاب
٥	حياة بديع الزمان الأولى
١٤	كيف ينقذ الإيمان ؟
٢٠	أواخر أيامه
٢١	الإيمان وتكامل الإنسان
٢٤	أمراض الإنسان وعلاجها
٢٩	رسائل النور
٣٧	مجموعة اللمعات
٤٥	الخطبة الشامية
٥٠	من كليات رسائل النور
٥٠	الآية الكبرى
٥٢	وظيفة الإنسان
٥٣	براهين الوجود
٥٦	إعجاز القرآن
٥٧	براهين التوحيد
٦٠	الإيمان وتكامل الإنسان
٦٣	"أنا" ذات الإنسان وحركات الذرات بين الفلسفة والدين
٦٧	غايات الحياة
٦٩	مرشد أخوات الآخرة
٧٥	رسالة الحشر
٨٢	بديع الزمان يتحدث إلى الأخوات
٨٥	إنقاذ الإيمان
٨٨	خاتمة

كتب صدرت للمؤلف

- ١- أضواء على التربية الإسلامية
- ٢- وظيفة المرأة في المجتمع الإسلامي
- ٣- جامعات يوسف
- ٤- الحدود في الإسلام
- ٥- دور المرأة ومكانتها في الحضارات المختلفة عبر التاريخ
- ٦- ماذا تعرف عن بديع الزمان التورسي

كتب تحت الطبع

- ١- الحضارة الغربية إلى الهاوية
- ٢- علم الإنسان في القرآن الكريم
- ٣- مفاهيم إسلامية
- ٤- الفن بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى
- ٥- الترف ودوره في انهيار الأمم
- ٦- معارك رمضان فاصلة في تاريخ الإسلام
- ٧- الإسلام يدلل المرأة
- ٨- الحكمة في التشريعات الإسلامية
- ٩- لماذا أسلمنا ؟
- ١٠- المدينة المنورة عند الهجرة
- ١١- أوسمة إلهية
- ١٢- مكة المكرمة عند الهجرة
- ١٣- أوسمة نبوية
- ١٤- الإتيكيت (فن الذوق)

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET